لوكريس بورجيا

مأساة من ثلاثة فصول

أشخاص المسرحية

دونا لوكريس بورجيا
دون ألفونس ديست
جينارو
جوبيتا
مافيو آورسيني
جيبو ليفيريتو
دون أبوستولو جازيللا
اسكانيو بتروتشي
اولوفرنو فيتيللوزو
روستيجللو
استولفو
الأميرة نيجروني
حارس الباب
لفيف من الرهبان
طائفة من النبلاء والحجاب والحراس

المكان : مدينة فينيسيا وامارة فرار
الزمان : مستهل القرن السادس عشر

الفصل الأول

مهانة فوق مهانة

القسم الأول

حفل ساهر في شرفة قصر باربا ريجو بمدينة فينيسيا ، يختلف المتنكرون بين آونة واخرى الى الشرفة التى تخيم عليها الظلال والخضرة ، ويمتد على جانبيها القصر الذى غمرته الأنوار الباهرة وانبعثت منه انغام الموسيقى • في المؤخرة تجرى قناة زويكا تتهادى على صفحتها من حين الى حين بين استار الظلام زوارق الجندول ، تشيع منها اضواء خافتة ، وتحمل على ظهرها المتنكرين والعازفين • يسير في مؤخرة المسرح زورق من هذه الزوارق ، تواكبه انغام مرحة تارة وانغام حزينة تارة اخرى تتلاشى وتبدأ كلما نات ، وفي الخلف تبدو فينيسيا في ضوء القمر •

المشـــهد الأول

لفيف من النبـلاء الشـبان فى ثياب فاخـرة ، يتجاذبون أطراف الحديث فى شرفة القصر وفى يد كل منهم قناعه ·

جوبيتـا ـ جينـارو فى زى ضـابط ـ دون أبوستولو جازيللا ـ مافيو أورسينى اسـكانيو بتروتشى ـ أولوفرنو فيتيللوزو ـ جيبوليفيريتو

أولوفرنو : أننا نعيش فى عصر شاعت الآثام فيه ، مما كف الألسن عن التشدق بهذه الجريمة ، وان لم يقع قط من قبل ـ بلا جدال ـ ما يبز هذا الحادث غموضا وهولا ·

اسكانيو : حادث غامض قارفه اناس غامضون ·

جينيو : أما عن نفسى ، فأنا محيط يا سـادتى بوقائع الحادث ـ لقد استقيتها من ابن عمى نيافة الكاردينال كاربال وهو أعلم النـاس بها · لعلكم تعرفون الكاردينـال كاربـال وتعلمون من أمر نزاعه المشرف مع الكاردينال رياربو بشـأن اعلان الحـرب على شـارل السابع ملك فرنسا ·

جينارو : (متثائبا) لقد بدأ جيبو يروى لنا أقاصيصه · أما عن نفسى فلن أصغى اليه ، لا سيما أننى مرهق بما فيه الكفاية ·

مافيو : هذه الشئون لا تعنيك يا جينـارو ، ولعـل السـبب غاية فى البساطة ، فأنت ضـابط مغـامر باسـل ، دعيت باسم وهمى ، ولا تعرف لك أبا أو أما ، لا مراء فى انك سـليل دوحة نبيلة ، فذلك ما يجلوه أسلوبك فى امتشاق الحسام ، وان كان ما ينضح بعراقة أصلك هو بسالتك فى القتال كالليث · أقسم أننا رفاق سلاح ولا أقصد مما أقول اساءة اليك · لقـد أنقذت حيـاتى فى واقعة ريمينى ، وانجيتك بدورى على جسر فيسانس · لقد تعاهدنا

على أن نكون يدا واحدة فى مجابهة المخاطر وفى مجالات اللهو على السواء ، وأن يثأر كل منا لصاحبه اذا لزم الأمر ، فليس لى من عدو غير عـدوك ، وليس لك من عدو غير عـدوى · لقد تنبأ لنا العراف أن كلينا سيموت فى يوم واحد ويلقى نفس الميتة · ولقد نقدناه دنانير عشرة ثمنا لنبوءته · فما نحن بأصـدقاء بل نحن أخـوة · الا انك أولا وأخيرا سعيد باسـمك جينـارو بلا لقب ، لا تنتسب لأحد ، ولا تجر وراءك شيئا من تلك الأرزاء التى كثيرا ما تؤول الى المرء بالوراثة ، وتتصل بالأسماء التاريخية · ما أسعدك يا رفيقى ! لا يعنيك ما يجرى وما جرى ما دمت تجد على الدوام رجالا لا تقاتلهم ونساء تستمتع بهن ، فلا شأن لك يا فتى الأعلام بسير الأسر وتاريخ المدائن ، لأنك عديم الأسرة والوطن · أما عنا فالأمر جد مختلف يا جينارو ، فمن حقنا أن نهتم بأحداث زماننا ، لأن آباءنا وأمهاتنا قد اختلطوا بهذه المآسى ، ولا تزال أسرنا جميعا على وجه التقريب تنزف دما ، حدثنا بما تعلم يا جيبو ·

جينارو : (مستلقيا على مقعده كمن يتأهب للنوم) عليكم بايقاظى حين يفرغ جيبو من حديثه ·

جيبو : اليكم البيان : كان ذلك فى عام ألف وأربعمائة وكذا وتسعين··

جوبيتا : (من أحد أركان المسرح) وسبعة وتسعين ·

جيبو : هذا صحيح · سبعة وتسعين ، وفى ليلة خميس ··

جوبيتا : لا بل فى ليلة أربعاء ··

جيبو : أصبت فيما تقول · فى تلك الليلة رأى أحد ملاحى نهر التيبر ، وكان مستلقيا على قاربه بحذاء الشاطئ فى حراسة بضـاعته ، رأى مشهدا مخيفا ، كان ذلك تحت كنيسة سـانتا هيبر وينمو بقليل ، وكانت الساعة قرابة الخامسة بعد منتصف الليل ، حين رأى الملاح فى جنح الليـل رجلين قادمين من الطـريق الواقع على يسار الكنيسة ، يسيران هنا وهناك على الأقدام فى حيرة وقلق ثم ظهر بعدهما رجلان آخران ، تبعهما ثلاثة آخرين ، فصار مجموعهم سبعة رجال بينهم واحـد فقط يمتطى جوادا · كان الليـل حالك السواد ولم يكن بين نافذات الدور المطلة على التيبر سوى نافذة مضيئة واحدة · دنا الرجال السبعة من الشاطئ ، وأدار الراكب

ردف حصانه تجاه النهر ، وعند ذاك أبصر الملاح فى وضوح على هذا الردف ساقين تتدليان من جانب ورأسا وساعدين تتدلى من الجانب الآخر كانت جثة رجل ، وحمل اثنان من الراجلين الجثمان بينما كان رفاقهما يرقبون مشارف الشوارع ، وأخذا يؤرجحانه بقـوة مرتين أو ثلاث مرات ، ثم ألقيا به فى عرض التيبر ، واذ صفعت الجثة وجه الماء وجه الفارس الى الرجلين سؤالا أجابا عليه قائلين : نعم يا مولاى ، وحينذاك اتجه الفارس صوب التيبر ، ورأى شيئا أسـود طافيا على صـفحة اليم ، فسـأل عما يكون هذا الشىء ، فأجابه أحد الرجلين قائلا : هذا يا مولاى معطف الأمير الراحل ، وألقى واحـد من الجمـاعة ببعض الحجارة على المعطف فغاص فى المـاء ، وما لبثوا أن انصرفوا سويا حين فرغوا من هـذه المهمة ، سالكين الطريق الموصل الى سان جاك · هذا ما شهده الملاح ·

مافيو : لا شـــك فى أنه حـادث غامض · أكان من ذوى المكانة هذا الذى ألقى به هكذا فى اليم ؟ ان صورة هذا الجواد تثير فى نفسى شعورا غريبا · قاتل يعتلى سرج الجواد وقتيل مسجى على ردفه ·

جوبيتا : كان الشقيقان يمتطيان هذا الجواد ·

جيبو : لقد ذكرت ذلك يا سيد دى بلفيرانا ، كانت الجثة جثة جان بورجيا وكان الفارس سيزار بورجيا ·

مافيو : يا لها من أسرة أبالسة ، أسرة بورجيا هذه ! خبرنى يا جيبو ، لم قتل الأخ أخاه على هذا النحو ؟

جيبو : هذا ما لن أبوح لك به ، ان سبب الجريمة من البشاعة بمكان ، مما يجعل مجرد ذكره خطيئة جزاءها الموت ·

جوبيتا : سأذكره لك بلسانى · لقد قتل سيزار كاردينال فالنس أخاه دوق جانديا لأن الشقيقين وقعا فى غرام امرأة واحدة ·

مافيو : ومن تكون هذه المرأة ؟

جوبيتا : (من مؤخرة المسرح دائما) شقيقتهما ·

جيبو : كفى يا سيد بلفيرانا ، لا تنطق أمامنا باسم تلك المرأة الضارية ، فما من أسرة من أسرنا الا وأثخنتها هذه المرأة بجرح عميق ·

مافيو : ألم يكن هناك أيضا ثمة طفل اختلط بهذا كله ؟

جيبو : أجل ٠٠ طفل لا أود أن أذكر سوى اسم أبيه : جان بورجيا ٠

مافيو : لعل هذا الطفل قد صار اليوم رجلا ؟

أولوفرتو : لقد اختفى ٠

جيبو : ترى هل سيزار هو الذى أفلح فى سرقة الطفل من أمه أم الأم هى التى أفلحت فى سرقته من سيزار بورجيا ، ذلك ما لم يعلمه أحد ٠

دون أبوستولو : ان كانت الأم هى التى أخفت ولدها فقد أحسنت صنعا، فمنذ أصبح سيزار بورجيا كاردينال فالنس دوقا لفالنتينوا قتل كما تعلمون ـ فضلا عن أخيه جان ـ ابنى أخيه أولاد جيفرى بورجيا أمير سكيلاتش ، وابن عمه الكاردينال فرانسوا بورجيا ، لقد جن الرجل بقتل ذوى قرباه ٠

جيبو : يالله ! لعله يود أن يكون وحده الحى الباقى من آل بورجيا حتى تؤول اليه جميع أملاك البابا ٠

اسكانيو : وهذه الشقيقة التى تأبى أن تذكر اسمها يا جيبو ، أما مضت فى تلك الآونة ذاتها فى ركب خفى الى دير سان سيكت ، لتحتبس فيه دون أن يدرى أحد لذلك سببا ؟

جيبو : أعتقد أن الصدق فيما تقول ٠ وكان ذلك كيما تنفصل عن السيد جان سفورزا زوجها الثانى ٠

مافيو : وما اسم هذا الملاح الذى شهد هذه الواقعة برمتها ؟

جيبو : لا أعرف ٠

جوبيتا : انه يدعى جورجيو شيافون ٠ وكان يعمل فى نقل الخشب عبر نهر التيبر الى مدينة ريبيتا ٠

مافيو : (محدثا اسكانيو بصوت هامس) هاك اسبانى يعلم عن سيرنا أكثر مما نعلم نحن معشر الرومان ٠

اسكانيو : (هامسا) اننى مثلك فى ريبة من أمر هذا السيد دى بلفيرانا ٠ وحرى بنا أن نوغل فى بحث هذه الموضوعات ٠ فقد تنطوى بين ثناياها أمور خطيرة ٠

جبيو : آه يا سادتى ! ترى فى أى زمان نعيش ؟ خبرونى عن ثمة مخلوق يستطيع أن يؤمن حياته لبضعة أيام فى ايطاليا المنكودة ، مع ما يجتاحها من أوبئة وحروب وشرور يقارفها آل بورجيا ؟

دون ابوستولو : وبهذه المناسبة ، أرى لزاما علينا أيها النبلاء أن ننخرط بكامل هيئتنا فى البعثة التى أوفدتها جمهورية فينيسيا لتهنئة دوق فرار على استرداد ريمينى من آل مالاتيستا · متى رحيلنا الى فرار ؟

أولوفرنو : بعد غد ولا ريب · لعلكم تعلمون أن المبعوثين قد عينا ، وهما بتوبولو من مجلس الأعيان وجريمانى أمير الأسطول ·

دون أبوستولو : أيرافقهما الضابط جينارو ؟

مافيو : ما فى ذلك شك ، جينارو وأنا ، فنحن لا نفترق أبدا ·

اسكانيو : لى ملاحظة هامة أسوقها اليكم ــ أيها السادة ــ لقد استأثر القوم دوننا بالنبيذ الاسبانى ·

مافيو : لنعد الى القصر · هيا بنا يا جينارو · (مخاطبا جيبو) لقد نام فعلا خلال روايتك يا جيبو ·

(ينصرف الجميع ما خلا جوبيتا)

المشهد الثانى

جوبيتا ثم دونا لوكريزيا ــ جينارو (نائما)

جوبيتا : (محدثا نفسه) نعم ، اننى أعلم منهم ببواطن الأمور ، وهم بهذا يهمسون · اننى أعلم منهم ببواطن الأمور ، ولكن دونا لوكريزيا تعلم من هذه الأمور أكثر مما أعلم، والسيد دى فالنتينوا يعلم أكثر مما تعلم دونا لوكريزيا ، والبابا اسكندر الثالث يعلم أكثر مما يعلمه الشيطان · (متطلعا الى جينارو) هكذا يستسلم لسلطان الكرى هؤلاء الشبان ·

(تدخل دونا لوكريزيا وعلى وجهها قناع · تلمح جينارو نائما ، فتمضى تتأمله فى غبطة وجلال) ·

دونا لوكريزيا : (محدثة نفسها) انه نائم ، لابد أن الحفل قد أتعبه ، ليت شعرى ما أجمله ! (ملتفتة) جوبيتا ·

جوبيتا : اخفتى صوتك يا سيدتى · اننى لا أدعى ها هنا جوبيتا بل الكونت دى بلفيرانا ، نبيل قسطلانى · أما أنت فالمركيزة دى بونتيكوادراتو ، نبيلة نابوليه ، ينبغى ألا يبدو على أحدنا أنه يعرف الآخر ، أو ليست هذه أوامر سموك ؟ انك لست ها هنا فى بلدك ، بل أنت فى فينيسيا ·

دونا لوكريزيا : الحق ما تقول يا جوبيتا · ولكن الشرفة خالية الا من هذا الشاب النائم ، ومن ثم نستطيع الحديث لبرهة ·

جوبيتا : كما يروق لسموك · وان كنت أنصحك ألا تخلعى قناعك أبدا · فقد يتعرف القوم عليك ·

دونا لوكريزيا : وماذا يضيرنى ؟ لئن جهلوا حقيقة أمرى فما من شىء أخافه ، وان عرفوا الحقيقة فأحرى بهم أن يخافونى ·

جوبيتا : نحن فى فينيسيا يا سيدتى · ان أعداءك ها هنا كثيرون ، وهم أعداء طلقاء · لا مراء فى أن جمهورية فينيسيا لن تسمح لامرىء بأن يتطاول على شخص سموك ، ولكن قد ينالك ثمة اساءة ·

دونا لوكريزيا : أراك على صواب ، وان اسمى ليثير الهول حقا ·

جيوبيتا : ان من معنا هنا ليسوا من مواطنى فينيسيا فحسب ، بل هم خليط من أهل روما ونابولى ولومبارديا ، انهم ايطاليون من سائر أرجاء ايطاليا ·

دونا لوكريزيا : وايطاليا بأسرها تمقتنى · الحق ما تقول ، ومع كل فلابد أن يتبدل الحال غير الحال ، فما خلقت للشر والأذى ، ذلك ما أشعر به الآن أكثر من أى وقت مضى · لقد جرفنى التيار اسوة بأهلى وعشيرتى · جوبيتا !

جوبيتا : لبيك يا سيدتى ·

دونا لوكريزيا : أبعث على الفور الى حكومتنا فى سبوليت بما سنأمرك به ·

جوبيتا : مرى يا مولاتى ، فان لدى على الدوام بغال أربعة مسرجة ، وأربعة من العدائين رهن اشارة السفر ٠

دونا لوكريزيا : ماذا فعلوا بجالياس أكابولى ؟

جوبيتا : انه مازال خلف القضبان ينتظر أمر سموك بدق عنقه ٠

دونا لوكريزيا : وجفرى بوند لمونت ؟

جوبيتا : فى سجنه لم تقض بعد باعدامه ٠

دونا لوكريزيا : وما نفريد دى كيرزولا ؟

جوبيتا : لم يعدم بعد هو أيضا ٠

دونا لوكريزيا : سباداكابا ؟

جوبيتا : تنفيذا لما أمرت ينبغى أن يجرع السم على مذبح القرابين يوم عيد الفصح ٠ وسوف يحل هذا اليوم بعد ستة أسابيع ٠ سيدتى، اننا فى حفل تنكرى !

دونا لوكريزيا : وبييرا كابوا ؟

جوبيتا : انه مازال حتى الساعة أسقف ليزارو ونائب حاكمها ٠ بيد أنه سيغدو حفنة من تراب قبل انقضاء الشهر ، فان البابا أبانا المقدس قد أمر بالقاء القبض عليه بناء على شكواك ، وهو يحتجزه بين سراديب الفاتيكان تحت حراسة مشددة ٠

دونا لوكريزيا : جوبيتا ! اكتب من فورك الى الأب المقدس واخطره بالتماس العفو عن بيير كابرا ، ثم آمرك باطلاق سراح أكابولى ومانفريد دى كيرزولا ، واخلاء سبيل بوندلمونت وسبادا كابا ٠

جوبيتا : على رسلك يا سيدتى ! دعينى ألتقط أنفاسى ، ما هذه الأوامر التى تلقينها على ؟ رباه ! أرى السماء تمطر مغفرة وتبرد مرحمة ، اننى غريق فى خضم الرحمة ، ولن أفلت من هذا الطوفان المخيف من الأعمال الصالحة ٠

دونا لوكريزيا : صالحة أم طالحة ، ماذا يضيرك أنت طالما أنقدك عليه أجرا ؟

جوبيتا : ان العمل الصالح لأشق أداء من العمل الطالح ٠ وا أسفاه ! يا لشقوتك يا جوبيتا ! أما وقد دخل الآن فى روعك انك قد غدوت رحيمة ، ترى ماذا سيكون من أمرى أنا ؟

دونا لوكريزيا : اصغ الى يا جوبيتا ! انك أقدم أمنائى وأخلصهم ..

جوبيتا : لقد حظيت فى الواقع بشرف معاونتك خلال خمسة عشر عاما.

دونا لوكريزيا : حسنا ، خبرنى يا جوبيتا ، خبرنى يا صديقى وشريكى القديم ! أما بدأت تحس بحاجة الى تغيير أسلوب حياتك ؟ ألست متعطشا الى عناية الله تدركنا ــ أنا وأنت ــ بقــدر ما حلت بنــا لعنته ؟ أما كفاك جرما ؟

جوبيتا : أرى انك قد غدوت أتقى أميرة فى الوجود !

دونا لوكريزيا : أما بدأ يثقل كاهلك صيتنا المشترك ، صيتنا الفاضح ، صيتنا فى سفك الدماء ودس السم للناس ؟

جوبيتا : مطلقا . واننى كثيرا ما أسمع الدهماء فى تجوالى بين شوارع سبوليت وهم ينشــدون حولى : هو ذا جوبيتا ، جوبيتا السم ، جوبيتا الخنجر ، جوبيتا المقصــلة ! ذلك لأنهم أضفوا على اسمى اكليلا وضاء من الألقاب ، انهم يرددون هذا كله ، وحين لا تردده الأفواه تردده الأعين . ولكن ماذا يضيرنى مما يرددون ؟ لقد اعتدت صيتى المقيت كما اعتاد جند البابا خدمة القداس .

دونا لوكريزيا : ولكن ، ألا تشعر بأن جميع الصفات المرذولة التى رميت بها ، وأرمى بها أنا أيضا ، قد توقظ البغض والزراية فى قلب انسان تصبو الى محبته ؟ أما أحببت فى الورى أحدا ؟

جوبيتا : اننى مشوق يا سيدتى الى معرفة من تحبين .

دونا لوكريزيا : وماذا تعرف عن الحب؟ اننى صريحة معك ، فلن أحدثك عن أبى أو أخى أو زوجى أو عشاقى .

جوبيتا : ولكنى لا أرى غير هؤلاء من يرتجى محبته .

دونا لوكريزيا : بل هناك شىء آخر يا جوبيتا .

جوبيتا : آه فهمت ! لعلك تتشبثين بالفضيلة والتقى خالصا لوجه الله !

دونا لوكريزيا : ولم لا ، يا جوبيتا ، وقد حــل اليوم فى ايطاليا ، فى ايطاليا الباغية المنكودة ، ثمة قلب صــاف نبيــل ، قلب زاخر بالرجوله الفاضلة ، قلب ملاك تحت درع جندى! لم لا ، ولم يبق لى ــ أنا المرأة الشقية المقوته ، المحقرة ، البغيضة ، الملعونة من الخلق الخالق ؛ أنا الانسانة البائسة رغم سطوتى واقتدارى ، لم يبق لى فى وقفة المحنة التى تحتضر فيها نفسى بين مرارة الألم غير فكرة

واحدة ، وأمنية واحدة ، ووسيلة واحدة ، هى أن أستحق وأحظى قبل أن تحين منيتى ببعض المكانة — يا جوبيتا — وبشىء من عطف هذا القلب الأبى الطاهر وتقديره ! فما عاد يلح على من الفكر غير مطمعى فى أن أشعر ذات يوم بهذا القلب مستجيبا لقلبى فى نشوة وانطلاق · أفهمت اذن يا جوبيتا ، لم أتوق الى التكفير عن ماضى ، وأطهر سمعتى وأمحو الوصمات التى أحملها أينما حللت ؟ وأستبدل بالصورة المشينة الدامية التى تقرنها ايطاليا باسمى صورة أخرى قوامها المجد والتوبة والفضيلة ؟

جوبيتا : يالله ! الى أى حبر من الأحبار سعيت اليوم يا سيدتى ؟

دونا لوكريزيا : دع السخرية جانبا يا جوبيتا · لقد راودتنى هذه الخواطر منذ أمد بعيد وما صارحتك بها ، فحين يجرف المرء تيار الجريمة لا يستطيع التوقف حين يشاء ، ان الملكين يصطرعان فى أعماقى — ملك الخير وملك الشر — وانى أرى الغلبة فى نهاية المطاف لملك الخير ·

جوبيتا : اذن « نمجدك يا رب ، تعظم نفسى الرب » ! أرأيت يا سيدتى أننى لم أعد أفهمك ، وأنك غدوت منذ حين فى عينى طلسما ؟ فمنذ شهر وسموك تعلنين انك راحلة الى سبوليت ، وانك قد استأذنت فى السفر زوجك مولاى دون ألفونس ديست ، وهو الذى بلغت به السذاجة أن يهيم بك كما يهيم الحمام بأليفته ويغار عليك كما يغار النمر الكاسر · وهكذا غادرت يا مولاتى فرار ، وقدمت سرا الى فينيسيا بلا حاشية تقريبا ، فانتحلت اسما زائفا نابوليا وانتحلت بدورى اسما اسبانيا ، حتى اذا ما حللت فى فينيسا افترقت عنى وأمرتنى أن أتجاهلك ، ثم أخذت تنطلقين الى محافل الموسيقى واللهو ، واغتنمت فرصة أعياد الكرنفال لتجولى فى كافة الأرجاء محجبة عن الخلق متنكرة ، تحدثيننى بقدر بين الأبواب المغلقة ، ثم تسفر هذه المهزلة أخيرا عن عهد تقطعينه على ! أو ليس هذا أمرا عجيبا ومثيرا ؟ لقد مسخت اسمك وزيك ، وها أنا ذا أراك تمسخين روحك · أقسم بشرفى انك تجاوزت حدود المهزلة ، واننى فى حيرة من أمرى ، ترى ما الذى حدا بسموك الى سلوك هذا المسلك ؟

دونا لوكريزيا : (تمسك بذراع جوبيتا بعنف وتجره قريبا من جينارو النائم) أرأيت هذا الشاب ؟

جوبيتا : ما هو بغريب عنى ، فأنا أعلم حق العلم انك تلاحقينه مستترة خلف قناعك منذ حللت فى فينيسيا ٠

دونا لوكريزيا : وماذا ترى فيه ؟

جوبيتا : أرى فيه شابا نائما وهو جالس على مقعد ، وربما نام وهو واقف لو أنه كان ثالثنا فى هذه المساجلة الأخلاقيــة المثالية التى دارت بينى وبين سموك ٠

دونا لوكريزيا : ألا تراه رائع الحسن ؟

جوبيتا : ربما بدا أكثر حسنا لو لم تكن عيناه مغمضتين ٠ ان وجهـا بلا عينين كقصر بلا نوافذ ٠

دونا لوكريزيا : آه لو تدرى مبلغ حبى له !

جوبيتا : هذا من شــأن زوجـك دون الفونس ٠ وان كان من واجبى يا سـيدتى اخبارك بألا جدوى من محاولاتك ، فهذا الشاب ــ كما قيل لى ــ يهيم بفتاة جميلة تدعى فياميتا ٠

دونا لوكريزيا : وهل تبادله الفتاة حبا بحب ؟

جوبيتا : هكذا يزعمون ٠

دونا لوكريزيا : حسنا ، غاية المنى أن أعلم بأنه قرير العين سعيد !

جوبيتا : وهذا أسلوب غريب قلما كان من أســاليبك ٠ كنت أحسبك غيورة ٠٠

دونا لوكريزيا : (متأملة جينارو) ما أنبل محياه !

جوبيتا : أرى أنه يشبه شخصا ما ٠٠٠

دونا لوكريزيا : (محتدة) لا تحدثنى عمن ترى أنه يشبهه ودعنى لحالى (ينصرف جوبيتا ، وتظل دونا لوكريزيا بضع لحظات تتطلع فى نشوة حالمة الى جينارو ، فلا تفطن الى قدوم رجلين مقنعين دلفا من مؤخرة المسرح وأخذا يسترقان النظر اليها) ٠

دونا لوكريزيا : (ظانة أنها وحدها) انه هو اذن ! لقد قدر لى أخيرا أن أراه لحظه بلا ثمة خطر ! كلا ، ما تخيلته أجمل من هذه الصورة ! رب جنبنى أسى محنة أصادفها من جراء شعوره ذات يوم بمقتى وازدرائى ، وأنت تعلم بأنه حبى الوحيد تحت ســمائك ، اننى لا اجترىء على خلع قناعى ، ولكن لا بد لى أن اكفكف دمعى (تخلع

قناعها لتجفف دمعة • يتحدث الرجلان المقنعان بصوت خفيض بينما تتهادى دونا لوكريزيا وهى تتأمل جينارو ! •

المقنع الأول : حسبى هذا • وفى وسعى الآن العودة الى فرار ، فما قدمت الى فينيسيا الا لأتأكد من خيانتها ، ولقد رأيت ما فيه الكفاية ، ولا ينبغى أن يطول غيابى عن فرار ـ هذا الشاب عشيقها • ماذا يدعى يا روستيجللو ؟

المقنع الثاني : انه يدعى جينارو ! وهو ضـــابط مغامر باسل ، عديم الأبوين ، ولا يعرف له أصل وهو يعمل حاليا فى خدمة جمهورية فينيسيا •

المقنع الأول : زين له القدوم الى فرار :

المقنع الثاني : هذا ما سيكون تلقائيا يا مولاى ، فبعد غد سيأتى الى فرار مع لفيف من رفاقــه الذين يشــكلون ســفارة المبعوثين تيوبولد وجريمانى •

المقنع الأول : حسنا ، لقد تبينت صحة ما ورد الى من تقارير ، وأؤكد لك أننى رأيت بعينى ما فيــه الكفاية ، والآن فى اســتطاعتنا العودة (ينصرفان) •

دونا لوكريزيا : (معقودة الساعدين ، وكأنها جاثية أمام جينارو) اللهم هيىء له من السعادة بقدر ما هيئات لى من شقاء !

(تطبع على جبين جينارو قبلة فيهب من سباته مذعورا) •

(قابضا بيديه على لوكريزيا الواجفة) قبلة وامرأة ، قسما بشرفى يا سيدتى لو كنت ملكه ، وكنت بدورى شاعرا ، لصال وجال فى هذا المجال شاعر فرنسا ألان شارتييه ، لكننى لا أعلم من أنت ، أما أنا فلست سوى جندى بسيط •

دونا لوكريزيا : دعنى يا سيد جينارو !

جينارو : محال يا سيدتى •

دونا لوكريزيا : أرى قادما •

(تتوارى وفى اثرها جينارو)

المشـــهد الثالث

جيبو ثم مافيو

جيبو : (دالفا من الجهة المقابلة) ما هذا الوجه ؟ انها هى بعينها ! عجبا ! أهذه المرأة هنا فى فينيسيا يا مافيو ؟

مافيو : (دالفا) ماذا ؟

جيبو : دعنى أحدثك عن لقاء غريب ·

(يهمس فى أذن مافيو)

مافيو : أواثق أنت مما تقول ؟

جيبو : وثوقى من أننا هنا فى قصر بارباريجو ولسنا فى قصر لابيا ·

مافيو : أكانت تبث جينارو هواها ؟

جيبو : نعم ·

مافيو : لا بد أن أخلص أخى من نسيج العنكبوت ·

جيبو : هيا نبلغ رفاقنا ·

(ينصرف الرجلان ، ويظـل المسرح خاليا بضع لحظات ، فلا يرى الرائى فى مؤخرته سوى عدد من قوارب الجندول ، تتهادى بين الفينه والفينة على أنغام الموسيقى ، ثم يدخل جينارو ودونا لوكريزيا وعلى وجه كل منهما قناع) ·

المشـــهد الرابع

جينارو ـ دونا لوكريزيا

دونا لوكريزيا : هذه الشرفة مظلمة موحشه ، ومن ثم اسـتطيع خلع قناعي · أود أن ترى وجهى يا جينارو (تخلع قناعها) ·

جينارو : ما أجملك !

دونا لوكريزيا : أمعن النظر يا جينارو ، وخبرنى ان كنت أثير امتعاضك ·

جينارو : تثيرين امتعاضى ؟ ان الأمر على النقيض يا سيدتى ، فاننى أشعر في قرارة نفسى بما يجذبنى اليك ٠

دونا لوكريزيا : ترى فى وسعك أن تحبنى ؟

جينارو : ولم لا ؟ وان كنت أصارحك يا سيدتى بأن هناك ثمة امرأة سيفوق حبى لها على الدوام حبى لك ٠

دونا لوكريزيا : (باسمة) أعرف ذلك ٠ انها الصغيرة فيامتيا ٠

جينارو : كلا ٠

دونا لوكريزيا : من تراها اذن ؟

جينارو : أمى !

دونا لوكريزيا : أمك ٠ أمك ٠ أى عزيزى جينارو ٠ أراك شغوفا بأمك ٠ أليس كذلك ؟ ٠

جينارو : وان كنت لم أرها قط ٠ لعل ذلك يبدو لك أمرا غريبا فى بابه ٠ أليس كذلك ؟ عجبا ، لا أدرى لم أميل الى مصارحتك بذات نفسى ؟ سأفضى اليك بسر لم أفض به الى أحد من قبل ، حتى الى مافيو أورسينى رفيقى فى السلاح ٠ عجيب أن يأنس المرء الى الغير من أول لقاء ، وان خيل الى أننى لا ألقاك لأول مرة ٠ اننى ضابط لا يعرف له أهل أو عشيرة ، ترعرعت فى كنف صياد من كالابر ٠ كنت أعتقد أننى ابنه ، ويوم بلغت السادسة عشرة من عمرى أنبأنى الصـياد بأنـه ليس أبى ، وبعد حين جاءنى سيد قلدنى شارة الفرسان ، وقفل راجعا دون أن يرفع حافة خوذته ٠ ثم وفد الى بعد ذلك رجل يتشـح بالسـواد يحمل الى رسـالة ٠ فضضت الرسالة ، فاذا هى كتاب من أمى ، أمى التى لا أعرفها ، أمى التى أتمثلها فى خاطرى انسانة كريمة حانية وديعة جميلة مثلك ، أمى التى بلغ حبى لها مبلغ العبادة ! لقد علمت من هذه الرسالة التى خلت من التوقيع أننى سليل بيت عريق ، وأن أمى انسانة عاثرة الحظ شقية ٠ لهف عليك يا أماه !

دونا لوكريزيا : ما أطيب قلبك يا جينارو !

جينارو : ومنذ ذاك الحين جعلت من نفسى محاربا مغامرا ، فلما كنت عظيم الجاه بحسبى فقد أردت أن أكون كذلك بسيفى أيضا ، وطفقت أجوب ايطاليا طولا وعرضا ، وفى غرة كل شهر ، وأينما كنت ، يفد الى ذلك الرسول ذاته ، فيناولنى رسالة من أمى ويتلقى ردى

عليها ، ثم ينصرف دون أن يفوه بكلمة ، ودون أن أحدثه بكلمة ، لأنه أصم أبكم ٠

دونا لوكريزيا : وهكذا لا تعلم عن آلك شيئا ؟

جينارو : أعلم أن لى أما وأنها عاثرة الحظ شقية ، واننى لأنزل عن حياتى فى هذه الدنيا لأراها باكية ، ثم عن حياتىفى الآخرة لأراها باسمة، وهذا كل ما أعلم ٠

دونا لوكريزيا : وماذا تصنع برسائلها ؟

جينارو : اننى أحتفظ بها جميعا هنا ، على قلبى ٠ اننا معشر المحاربين كثيرا ما تتعرض صدورنا لطعن السيوف ، ورسائل الأم لنا خير درع ٠

دونا لوكريزيا : ما اكرم نفسك ؟

جينارو : أتودين رؤية خطها ؟ اليك رسالة من رسائلها ٠

(يخرج من صديرتيه ورقة يقبلها ثم يناولها لدونا لوكريزيا) اقرئى هذا ٠

دونا لوكريزيا : (قارئة) لا تحاول التعرف على يا عزيزى جينارو قبل أن يحين الحين ٠ اننى امرأة جديرة بالعطف والرثاء ، عليك أن تتنكب طريقى ، فأنا محاطة بأقارب قد خلت أفئدتهم من الرحمة ، قد يقتلوك كما قتلوا أباك من قبل ٠ أما عن سر مولدك يابنى فاننى أود أن أستأثر به دونك ، فلو أنك عرفته لألفيته أليما وخطيرا فى آن واحد ، مما يجعلك لا تستطيع السكوت عليه ٠ ان الشباب سرعان ما يثق بالغير ، وانك لا تدرك المخاطر التى تحيط بك كما أدركتها ٠ ومن يدرى ؟ فقد تصر على مجابهة تلك المخاطر بدافع من اقدام الشـباب ، وقد ينفلت لسـانك أو تنساق للحدس والتخمين ، فلا تعيش بعد ذلك أكثر من يومين ٠ كلا ، لن أبوح لك بهذا السر ، وحسبك أن تعلم أن لك أما تعبدك وتسهر الليـل وتقوم النهار على حياتك ٠ أى جينارو الحبيب ، أى بنى ، انك كل من أحببت فى هذا الوجود ، وان قلبى لينفطر أسى حينأفكر فيك٠٠

(تتوقف لحظة عن القراءة كى تخفى دمعها)

جينارو : ما أرق نبراتك وأنت تتلين الرسالة ! حتى ليخيل الى سامعك أنك لا تقرئين وانما تتحدثين أواه ، أراك تبكين ؟ انك يا سيدتى طيبة القلب رحيمة ، وانى أحبك لأنك تبكين تأثرا بما كتبته أمى ٠

(يسترد الرسالة ويقبلها مرة أخرى ثم يعيدها الى صدره) نعم ، أرأيت يا سيدتى ؟ لقد أحاطت الجرائم العديدة بمهدى · لهفى عليك يا أماه ! لعلك تدركين الآن يا سيدتى لم لا تجتذبنى مجالات اللهو والهوى كثيرا ، فكل همى هو أمى ·

ما أسعدنى لو استطعت خلاص أمى ، والقيام على خدمتها والثأر لها ومواساتها ! اما عن الغرام فموعدى معه فيما بعد · لقد جعلت نصب عينى فى كافة أفعالى أن أكون جديرا بأمى · انى أرى كثيرا من المحاربين فقراء الى النخوة والضـــمير ، يتقاتلون فى سبيل الشيطان بعد أن قاتلوا فى سبيل القديسين ! أما عن نفسى فاننى لا أدافع الا عن قضايا الحق ، وأود لو أستطيع أن أضع ذات يوم تحت قدمى أمى سيفا مخلصا خالصا كسيف الأباطرة · أو تدرين يا سيدتى ، لقد عرض على منصب كبير فى بلاط الفاجرة لوكريس بورجيا ، لكننى رفضت ·

دونا لوكريزيا : أى جينارو ! كن رحيما بالأشرار ، فأنت لا تعلم خبيئة نفوسهم ·

جينارو : لا رحمة عندى لمن خلا قلبه من الرحمة · ولكن دعينا من هذا يا سيدتى · أما وقد ذكرت لك الآن من أكون ، فخبرينى بدورك من تكونين ؟

دونا لوكريزيا : امرأة تحبك يا جينارو ·

جينارو : ولكن ما اسمك ؟

دونا لوكريزيا : لا تسألنى مزيدا على ما ذكرت لك ·

(على ضوء المشاعل يدخل مافيو وجيبو فى صخب ، فتســارع لوكريزيا بارتداء قناعها)

المشــهد الخامس

الأشخاص أنفسهم ـ مافيو أورسينى ـ جيبو ليفيريتــو ـ اســـكانيو بتروتشى ـ اولوفرنــو فيتيللوزو ـ دون أيوستولوجازيللا ـ لفيف من النبلاء والسيدات ـ حجاب يحملون المشاعل ·

مافيو : (حاملا مشعلا) جينارو ، أتريد أن تعرف من تطارحها الهوى ؟

دونا لوكريزيا : (محدثه نفسها من خلف القناع) يا لعدالة السماء !

جينارو : أنتم جميعا رفاقى · ولكنى أقسم أن من يمس قناع هذه المرأة لهو غلام أخرق ، ان قناع المرأة مقدس كوجه الرجل ·

مافيو : ينبغى قبل كل شىء أن تكون المرأة امرأة بمعنى الكلمة · جينارو ، اننا لا نقصد الى اهانة هذه المرأة ، وانما نريد فقط أن نذكر لها أسماءنا ·

(يخطو خطوة نحو لوكريزيا) سيدتى ، **أنا مافيو أورسينى شقيق** دون جرافينا وهو من قتله زبانيتك ليلا بينما كان يغط فى سباته·

جيبو : أنا جيبو ليفيريتو ، ابن اخ ليفيريتو بتروتشلى ، وهو من أجهزت عليه بطعنة خنجر فى أقبيه الفاتيكان ·

اسكانيو : **سيدتى ، أنا اسكانيو بتروتشى ، ابن عم باندولفو بتروتشى شريف سيين ، هذا الذى قتلته حتى يتيسر لك احتلال مدينته** ·

أولوفرنو : **سيدتى ، أنا من يدعى الوفرنو فيتيللوزو ، ابن أخ** جودابيانى، من أسقيته السم فى احدى الولائم بعد ما سلبتيه بالغدر والخيانة قلعة الامارة المنيفة فى بومبيتو ·

دون أبو ستولو : **سيدتى ، لقد قضيت** باعدام دون فرانسسكو عم دون ألفونس داراجون ثالث أزواجك ، وهو الذى أمرت بقتله بضربة رمح على قمـــة الدرج فى كنيســـة القديس بطرس أنـا دون أبو ستولوجازيللا ابن الأول وابن عم الثانى ·

دونا لوكريزيا : رباه !

جينارو : من تكون هذه المرأة ؟

مافيو : **أما وقد ذكرنا لك يا سيدتى أسماءنا ، أتودين أن نفصح عن اسمك ؟**

دونا لوكريزيا : **لا ، لا** · ناشدتكم الرحمة يا ســادة ، **لا تذكروا اسمى** أمامه ·

مافيو : (جاذبا قناعها) اخلعى قناعك يا سيدتى لنرى ان كان وجهك **لا تزال فيه حمرة الخجل !**

دون ابوستولو : جينارو ، ان هذه المرأة التى تطارحها الهوى لهى امرأة **باغية فاجرة** ·

جيبو : قارفت الزنا مع الأقربين جميعا · فزنت مع أخويها اللذين تقاتلا على حبها !

دونا لوكريزيا : المغفرة !

اسكانيو : وزنت مع أبيها البابا !

دونا لوكريزيا : الرحمة !

أولوفرنو : وانها لتزنى مع أولادها ان كان لها ولد · ولكن السماء تضن على الوحوش بالانجاب ·

دونا لوكريزنا : كفى ، كفى !

مافيو : أتود أن تعرف من هى يا جينارو ؟

دونا لوكريزيا : الرحمة ، الرحمة ، يا سادتى !

مافيو : جينارو ، أتود أن تعرف من هذه المرأة ؟

دونا لوكريزيا : (زاحفه على الأرض الى ركبتى جينارو) لا تسمح لهم يا عزيزى جينارو !

مافيو : (باسطا ذراعه) انها لوكريس بورجيا !

جينارو : (وهو يدفعها بيده) تبا لك !

(تخر لوكريس بورجيا مغشيا عليها تحت قدميه)

القسم الثانى

ساحة مدينة فرار ـ على اليمين قصر لـــه شرفة محلاة بالشباك ذات باب صغير ، فى اسفل الشرفة ترس حجرى كبير يحمل شعارا نقشت تحته بأحرف كبيرة بارزة من النحـاس كلمة « بورجيا » · وعلى اليسار بيت صغير يطل بابه على الساحة ، وفى المؤخـــرة دور وابراج ·

المشـــهد الأول

دونا لوكريزيا ـ جوبيتا

دونا لوكريزيا : أأعددت كل ما يلزم لهذا المساء يا جوبيتا ؟

جوبيتا : نعم يا سيدتى ·

دونا لوكريزيا : وهل سيأتى الخمسة جميعا

جوبيتا : الخمسة جميعا يا سيدتى ·

دونا لوكريزيا : لقد أساءوا الى بضراوة يا جوبيتا !

جوبيتا : وااسفاه ! لم أكن وقتئذ حاضرا ·

دونا لوكريزيا : كانوا بلا رحمة !

جوبيتا : أجهروا لك باسمك هكذا بصوت عال ؟

دونا لوكريزيا : انهم لم يجهروا باسمى يا جوبيتا ، بل بصقوا فى وجهى·

جوبيتا : فى وسط الحفل ؟

دونا لوكريزيا : وأمام جينارو ·

جوبيتا : أرى فى مغادرتهم فينيسيا وقدومهم الى فرار حماقة وغرورا · وان لم يكن لهم فى الحقيقة بد من ذلك ، فقد اختارهم مجلس الأعيان ضمن الوفد الذى قدم فى الأسبوع الماضى ·

دونا لوكريزيا : واحسرتاه ! لقد غدا الآن يمقتنى ويزدرينى · وعليهم يقع هذا الوزر · سأنتقم منهم يا جوبيتا ·

جوبيتا : حبذا هذا القول السديد · لعلك برئت ــ ولله الحمد ــ من نزوة الرحمة · اننى أشعر بمزيد من الارتياح نحو سموك حين تكونين على سجيتك شأنك الآن ، فعندئذ ألتقى فى القليل بنفسى · أرأيت يا سيدتى الى أن البحيرة هى نقيض الجزيرة ، وأن البرج نقيض البئر ، والقناة نقيض الجسر ، ويشرفنى أن أكون نقيض الانسان الفاضل ·

دونا لوكريزيا : ان جينارو معهم ، فحذار أن يصيبه ثمة مكروه !

جوبيتا : لو أصبحت امرأة فاضلة ، وأصبحت بدورى رجلا فاضلا ، لكان فى ذلك منتهى الوحشية ·

دونا لوكريزيا : حذار أن يصيب جينارو أى مكروه ! هذا ما آمرك به ·

جوبيتا : اطمئنى ·

دونا لوكزيزيا : على أننى مشوقه الى رؤيته مرة أخرى ·

جوبيتا : سبحان الله ! انك ترينه كل يوم يا صاحبة السمو · لقد أغريت الحاجب كيما يقنع سيده بالاقامة فى هذا البيت قبالة شرفتك ، ومن خلال قضبان الشرفه تخطين كل يوم بشرف لا مثيل له ، شرف رؤية السيد المذكور فى غدوه ورواحه ·

دونا لوكريزيا : أقول لك يا جوبيتا أننى أتوق الى الحديث معه ·

جوبيتا : ما من شىء أيسر من هذا الأمر ، ابعثى اليه بتابعك استولفو فيخبره بأن سموك فى انتظاره اليوم بالقصر ، فى الساعة كذا ··

دونا لوكريزيا : هذا ما سيكون يا جوبيتا ، ولكن أتراه يحضر ؟

جوبيتا : عودى يا سيدتى · أظنه سيمر عما قليل من هنا بصحبة الاغرار الذين تحدثنا عنهم ·

دونا لوكريزيا : أيحسبونك دائما الكونت بلفيرانا ؟

جوبيتا : انهم يحسبوننى اسبانيا من قمة رأسى الى أخمص قدمى · اننى من صفوة أصدقائهم واقترض منهم نقودا ·

دونا لوكريزيا : نقودا ! ولماذا ·

جوبيتا : يا لله ! للحصول عليها · فما من شىء يبرز الطابع الاسبانى فى المرء أكثر من ظهوره بمظهر المتسول ، وأن يجذب الشيطان من ذنبه ·

دونا لوكريزيا : (محدثة نفسها) جنب اللهم جينارو الحبيب كل مكروه !

جوبيتا : وبهذه المناسبة يا سيدتى ، قفزت الى خاطرى فكرة ·

دونا لوكريزيا : وما هى ؟

جوبيتا : أرى من اللازم أن يلحم ذنب الشيطان ويحكم ربط فقراته ، حتى يحتمل الجموع الغفيرة التى لا تكف عن جذبه ·

دونا لوكريزيا : انك تلتمس فى كل الظروف مجالا للسخرية والدعابة·

جوبيتا : هذا أسلوب كغيره من الأساليب ·

دونا لوكريزيا : أعتقد أنهم وصلوا · فكر فى كل شىء ·

(تعود الى القصر من باب صغير تحت الشرفة) ·

المشـــهد الثانى

جوبيتا (يحدث نفسه)

ترى من يكون جينارو هذا ؟ وماذا تبغى منه بحق الشيطان ؟ اننى لا أقف على كافة أسرار هذه السيدة ، وهذا أمر جد طبيعى · غير أن هذا السر بالذات يثير فضولى · أقسم أنها لا تثق بى هذه المرة ، ولذا ينبغى ألا يدور بخلدها أننى مفيدها فى هذا المجال ، ولها أن تفيد من تآمرها مع جينارو كما تشاء · ولكن ما أغربه من أسلوب امرأة فى عشق رجل ، وبخاصة اذا كانت العاشقة هى ابنة رودريجو بورجيا ، من جرت فى عروقها دماء الغوانى ودماء البابا ! سبحان الله ! لقد غدت سيدتى لوكريس أفلاطونية فى حبها ، ولن أستغرب

بعد اليوم شيئا ، ولو جاء من ينبئنى بأن البابا اسكندر السادس قد آمن بالله !

(يطل على الشارع المجاور) ها هم أولاء شـباب كرنفال فينيسيا المجانين ، ما أروع تلك الفكرة التى خطرت لهم ، فاذا هم يغادرون أيضا محايدة ويقدمون الى فرار بعد ما أهانوا بضراوة أميرة فرار ! ولو كنت فى موقعهم لتخلفت بلا شك عن صحبة مبعوثى فينيسيا . ولكن تلك هى شيمة الشباب ، فمن بين سائر الخلائق أنسوا الى أنياب الذئب فتدافعوا اليها راضين مغتبطين .

(يدخل النبلاء الشـبان دون أن يفطنوا بادىء الأمر الى وجـود جوبيتا ، وكان يرصد حركاتهم من مخبئه خلف أحد أعمدة الشرفة ـ يتحدث الشبان فى قلق بصوت خفيض) .

المشـهد الثالث

جوبيتا ـ مافيو ـ جيبو ـ اسكانيو
دون أبـو سـتولو ـ أولوفيرنو .

مافيو : (فى همس) قولوا ما شئتم أيها السادة ، ولكن ما كان فى وسعنا التخلف عن الحضور الى فرار بعدما طعنـا لوكريس بورجيا فى صميم فؤادها .

دون أبوستولو : وماذا نملك من أمرنا ؟ لقد بعث بنـا الى هنـا مجلس الأعيان ، وما من سبيل للتنصل من أوامر مجلس أعيان فينيسيا الموقر . لا أخفى عليك يا مافيو أن موكريزيا بورجيا هى فى الواقع عدو مرهوب الجانب ، وهى الأمرة الناهية فى هذا البلد .

جيبو : وماذا تراها فاعلة بنا يا أبوستولو ؟ ألسنا من عمال جمهورية فينيسيا ؟ ألسنا من أعضاء وفدها ؟ ان المساس بشعرة من رؤوسنا معناه اعلان الحرب على عاهلنـا ، وفرار لا تقدم باختيارهـا عـلى استنفار فينيسيا .

جينارو : (لا يشارك فى الحديث بل يبدو حالما فى ركن من أركان المسرح) أماه ! أماه ! من يخبرنى بما أستطيعه من أجل أمى الشقية ؟

مافيو : في وسعهم يا جيبو أن يواروك التراب دون أن يمسوا شعرة من رأسك ، فهناك ثمة سموم تحقق أغراض آل بورجيا دون ما ضجيج أو صخب ، وبأفضل مما يحققه الفأس والخنجر · لعلك لا تنسى تلك الوسيلة التي قضى بها اسكندر الثالث على السلطان زيزيمى أخ باجازيه ·

أولوفرنو : وعلى كثيرين غيره ·

دون أبوستولو : أما عن أخ باجازيه فقصــته تثير الأسى والعجب ، لقد أدخل البابا فى روعة أن شارل ملك فرنسا قد دس له السم يوم تغذيا سويا ، فصــدق زيزيمى الخبر وتقبل من يــدى لوكريس بورجيا الجميلتين ترياقا زائفا مكن باجازيه من الخلاص منه فى مدى ساعتين من الزمان ·

جيبو : يخيل الى أن هذا التركى المغوار لم يكن يفقه شيئا فى السياسة ·

مافيو : نعم ، ان لدى آل بورجيا سموما تقضى على المرء فى يوم أو شهر أو عام حسبما يشاؤون · انها سموم فظيعة تزيد طلاوة الخمر ، مما يجعلك تفرغ القنينة فى جوفك بلذة ونشوة ، فاذا بك تحتضر بينما تعتقد أنك ثمل ، ومن يسقى هذا السم يعروه الهزال فجأة وتتجعد بشرته ، وتفور عيناه ، ويسقط شعره ، وتتفتت أسنانه تفتت الزجاج الهش اذا اصطدم بالخبز ، فتراه وقد فقد القدرة على السير والتنفس ، يزحف على الأرض ويلهث ، يعاف المرح والكرى ويرتجف تحت الشمس فى عز الظهيرة ، ويبدو كهلا وهو بعد فى شرخ الشباب ، وهكذا يحتضر ردحا من الزمن ؛ ثم لا يلبث أن يسلم الروح ، حتى اذا قضى نحبه تذكر الناس أنه قد شرب قدحا من النبيذ القبرصى منذ ستة أشهر أو عام على مائدة آل بورجيا · (ملتفتا) انظروا يا سادتى الى مونت فيلترو ، لعلكم تعرفونه ، انه من أهل هذه المدينة ، ويمر الساعة بهذه المحنة · ها هو ذا يسير هناك فى مؤخرة الساحة ، انظروا اليه (يسير فى مؤخرة المسرح رجل أبيض الشعر ، نحيل القوام ، يترنح ويعرج ، متكئا على عصاه وقد التف بمعطف) ·

اسكانيو : لهفى عليك يا مونت فيلترو !

دون ابوستولو : كم يبلغ من العمر ؟

مافيو : هو من سنى – فى الثامنة والعشرين من عمره ·

أولوفرنو : لقد رأيته فى العام الماضى ، وكان وجهه بلون الورد ، يفيض كوجهك بشرا ونضارة ٠

مافيو : لقد تناول العشاء منذ ثلاثة أشهر على مائدة البابا ــ أبينا المقدس فى كرمته فى بلفيدير ٠

اسكانيو : يا للفظاعة !

مافيو : نعم ، ان القوم يرددون أغرب القصص عن عشاء آل بورجيا !

اسكانيو : انها ولائم فاجرة ، لا يكبح جماحها كابح ، وجل توابلهـــا السموم ٠

مافيو : أرأيتم يا سادتى كيف أوحشت من حولنا الساحة ، ان الشعب لا يخاطر مثلنا بالاقتراب من قصر الامارة خشية أن تنضح من الجدران تلك السموم التى تطبخ فيه ليل نهار ٠

اسكانيو : لعلكم تعلمون أن المبعوثين قد حظيا بالأمس بمقابلة ســـمو الدوق ، ومن ثم فان مهمتنا وشـــيكة النهاية ، أن الوفد يضم خمسين فارسا ، وانسحابنا من هذا الحشد لن يفطن اليه أحد ، وأرى من الحكمة أن نرحل عن فرار ٠

مافيو : وفى يومنا هذا ٠

جيبو : ليكن رحيلنا فى الغد يا سادة ، فلقد دعيت للعشاء هذا المساء على مائدة الأميرة نيجرونى ٠ اننى وله بهـــذه الأميرة ، ولا أحب الظهور بمظهر الهارب من أجمل نساء فرار ٠

أولوفرنو : أمدعو أنت للعشاء هذا المساء لدى الأميرة نيجرونى ؟

جيبو : نعم ٠

أولوفرنو : وأنا مدعو كذلك ٠

اسكانيو : وأنا أيضا ٠

دون أبوستولو : وأنا أيضا ٠

مافيو : وأنا أيضا ٠

جوبيتا : (دالفا من خلف الأعمدة) وأنا أيضا أيها السادة ٠

جيبو : ها هو ذا السيد بلفيرانا ــ حسنا ، لنذهب كلنا سويا ، ستكون بلا شك سهرة ممتعة ٠ طاب يومك يا سيد دى بلفيرانا ٠

جوبيتا : أطال الله عمرك يا سيد جيبو ٠

مافيو : (مخاطبا جيبو فى صوت خافت) مازلت أتوجس خيفة يا جيبو ، لئن طاوعتنى تخلفنا عن حضور هذه المأدبة · انى لا أطمئن كثيرا الى مجاملات هذا المدعو بلفيرانا ·

جيبو : (هامسا) أنت مجنون يامافيو · ان الأميرة نيجرونى ساحرة خلابة ، وأصارحك بأننى متيم بها · أما عن السيد بلفيرانا فهو من خيار الناس ، لقد استخبرت عنه وعن ذويه ، وعلمت أن أبى كان مع أبيه فى حصار غرناطة عام ألف وأربعمائة وكذا وثمانين ·

مافيو : ما هذا بدليل على أنه ابن الرجل الذى صاحب أباك ·

جيبو : لك مطلق الحرية يامافيو فى عدم تلبية هذه الدعوة ·

مافيو : سأذهب ما دمت ذاهبا انت ·

جيبو : مرحى ، مرحى · وأنت يا جينارو ألست من زمرتنا هذا المساء ؟

اسكانيو : ألم تدعوك الأميرة نيجرونى ؟

جينارو : كلا ربما حسبتنى الأميرة غير ذى شأن ·

مافيو : (باسما) لعلك ذاهب وحدك يا أخى الى لقاء غرام · أليس كذلك ؟

جيبو : وبهذه المناسبة حدثنا قليلا عما قالته لك بالأمس السيدة لوكريس · بيد انها قد جنت بحبك · لابد أنها حدثتك عن هذا طويلا · لقد أتاح لها ما ساد الحفل الراقص من تحرر ومجون فرصة ذهبية · ان النساء لا يضعن على وجوههن قناعا الا ليعرين بمزيد من القحة نفوسهن · وجه مقنع ونفس عارية · (تنصت دونا لوكريزيا من شرفتها الى هذا الحديث منذ لحظات ، وقد تركت احدى ضلف الباب مفتوحة الى منتصفها) ·

مافيو : لعلك جئت تقيم هنا فى مواجهة شرفتها يا جينارو ·

دون أبوستولو : وفى ذلك من الخطر يا رفيقى · يقال ان دوق فرار الميجل يغار على زوجه غيرة حمقاء ·

أولو فرنو : خبرنا يا جينارو الى أى مدى بلغت فى مغامرتك مع لوكريس بورجيا ؟

جينارو : لئن عاودتم سؤالى عن هذه المرأة البغيضة يا سادة فسوف تضوى ثمة سيوف تحت الشمس ·

دونا لوكريزيا : (من شرفتها) واحسرتاه !

مافيو : هذه مداعبة يا جينارو ليس غير · ان خيل الى ألا تثريب علينا ! اذا حدثناك عن هذه المرأة وقد حملت ألوان شعارها ·

جينارو : ماذا تعنى بقولك ؟

مافيو : (مشيرا الى الوشاح الذى يتشح به) هذا الوشاح ؟

جيبو : ان ألوانه فى الواقع هى نفس ألوان لوكريس بورجيا ٠

جينارو : ولكن فياميتا هى التى بعثت الى به ٠

مافيو : هذا ما تعتقده ، لأن لوكريس أمرتهم أن يذكروا لك ذلك ، بينما هى التى طرزت بيدها هذا الوشاح من أجلك ٠

جينارو : أواثق أنت مما تقول يامافيو ؟ ممن عرفت ؟

مافيو : من حاجبك الذى أسلمك الوشاح ٠ لقد كسبته الى صفها ٠

جينارو : الى الجحيم !

(ينزع الوشاح ويمزقه ويطأه بقدميه)

دونا لوكريزيا : (على حدة) واحسرتاه !

تغلق ضلفة الباب وتنسحب ٠

مافيو : ولكن المرأة جميلة على أية حال ٠

جيبو : نعم ، وان كان يشوب جمالها ثمة غبرة ٠

جينارو : أواه ، لعنة الله على من تدعى لوكريس بورجيا ٠ أتزعمون أنها تحبنى ؟ حسنا ، ليكن فى هذا عذابها ، انها لتثير فزعى ! نعم انها تثير فزعى ! أو تعلم يامافيو أن الأمور تجرى دائما على هذا النحو ، فليس من سبيل للرجل منا الى تجاهل امرأة تحبه ، فاما أن يبادلها حبا بحب واما أن يمقتها ٠ وأنى لهذه المرأة أن تكون موضع حب ؟ هذا الى أن هذا الصنف من النساء كلما أثقل بحبه على رجل زاد مقت الرجل له ٠ ان هذه المرأة تطاردنى وتحاصرنى وتضيق الخناق على ــ ليت شعرى ، كيف قدر لى أن أكون جديرا بحب امرأة كلوكريس بورجيا ؟ أليس فى ذلك طامة كبرى وعار ؟ فمنذ تلك الليلة التى جهرتم فيها باسمها ــ لا يمكنكم أن تصدقوا الى أى حد صار مجرد تفكيرى فى هذه المرأة الفاجرة أمرا ادا ٠ كنت فيما مضى لا أرى لوكريس بورجيا الا عن بعد ، عبر آلاف الفراسخ ، كمارد رهيب يجثم على صدر ايطاليا بأسرها ، أو كشبح يقض مضجع العالم طرا ، أما اليوم فقد أصبح هذا الشبح يستأثر بى دون سائر الخلق ، يفد الى فيجلس الى سريرى ٠ ان هذا لشىء مخيف ٠ آه يامافيو انها قاتلة السيد دى جرافينا ، انها قاتلة

أخيك · حسنا ، سأنزل منزلته من نفسك ، وسأثأر له من قاتلته · هذا هو قصرها الكريه ، قصر الدعارة والخيانة والاغتيال ، قصر الزنى والفسوق والكبائر جميعا ، قصر لوكريس بورجيا · ان وصمة العار التى لا أستطيع أن أدمغ بها جبهة هذه المرأة سأدمغ بها فى أقل القليل جبهة قصرها ·

(يرتقى المقعد الحجرى الجاثم تحت الشرفة ، ويزيل بنصل خنجره الحرف الأول من اسم بورجيا المنقوش على الجدار بحيث لا يبقى منه سوى لفظ أورجيا ومعناه الاغراق فى الرذيلة) ·

مافيو : جينارو ، ان هذا الحرف الذى أزلته من اسم السيدة لوكريس معناه زوال رأسك من بين كتفيك ·

جوبيتا : يا سيد جينارو ، لقد أتيت فعلة مريبة ستسفر فى الغد عن تعذيب نصف سكان المدينة ·

جينارو : سأسلم نفسى اذا هم بحثوا عن الفاعل ·

جوبيتا : (محدثا نفسه) هذا والله ما أصبو اليه وما سوف يحرج سيدتى لوكريس ·

(يذرع الساحة منذ لحظات رجلان يتشحان بالسواد ويتلصصان)

مافيو : أنظروا أيها السادة ، أرى وجوها عابسة تتطلع الينا بشىء من الفضول ، فمن الحكمة أن نفترق · اياك أن تأتى مزيدا من الحماقة يا أخى جينارو !

جينارو : اطمئن بالا يامافيو · هات يدك ـ أيها السادة أرجو لكم ذروة البهجة فى سهرة الليلة ·

(يدخل ويتفرق الآخرون)

المشهد الرابع

رجلان يتشحان بالسواد

الرجل الأول : ماذا تفعل هاهنا بحق الشيطان يا روستيجللو ؟

الرجل الثانى : أنتظر حتى أرى ما تصنع يا استوفولو ·

الرجل الأول : حقا ؟
الرجل الثانى : وأنت ماذا تصنع هنا يا استوفولو ؟
الرجل الأول : انتظر حتى أرى ما تصنع يا روستيجللو ·
الرجل الثانى : من تبغى اذن يا استوفولو ؟
الرجل الأول : الرجل الذى دخل هناك توا · وأنت من تبغى ؟
الرجل الثانى : الشخص ذاته ·
الرجل الأول : يا للشيطان !
الرجل الثانى : ماذا تريد به ؟
الرجل الأول : احضاره للاميرة ، وأنت ؟
الرجل الثانى : أريد أن اقتاده الى الأمير ·
الرجل الأول : يا للشيطان !
الرجل الثانى : ماذا ينتظره لدى الأميرة ؟
الرجل الأول : الهوى والمتعة بلا شك ، ولدى الأمير ؟
الرجل الثانى : المقصلة فيما أظن ·
الرجل الأول : وما العمل ؟ محال أن يكون لدى الأمير ولدى الأميرة فى آن واحد محبوب سعيد فى ناحية ، ومقضى باعدامه فى ناحية أخرى ·
الرجل الثانى : هذا دينار · لنجر القرعة ، ونرى من منا يفوز بالرجل ·
الرجل الأول : وهو كذلك ·
الرجل الثانى : أقسم لو خسرت القرعة لأذكرن بسذاجة للامير أننى وجدت العصفور قد نزح من العش · والأمر عندى سواء فما يتعلق بصوالح الأمير ·
(يقذف بالدينار فى الهواء)
الرجل الأول : الظهر لى ·
الرجل الثانى : (محدقا فى الأرض) انه الوجه ·
الرجل الأول : سيعدم الرجل · خذه معك · وداعا ·
الرجل الثانى : طاب مساؤك ·

(واذ يختفى الرجل الأول ، يفتح الرجل الثانى الباب الصغير الواقع تحت الشرفة وينفذ منه · يعود بعد برهة ومعه أربعة من العسس ، ثم يذهب بصحبتهم فيدق باب البيت الذى دلف اليه جينارو ، ويسدل الستار ·

الفصل الثانى

الزوجان

القسم الأول

(قاعة بقصر الأمارة فى فــرار) فرشت بطنافس جلدية من صناعة المجر ، موشـــاة بنقوش عربية مذهبة واثاث فاخر من الطــراز الايطالى فى أخريات القرن الخامس عشر . اما كرسى العرش فمصنوع من المخمل الأحمــر مطرز عليه شعار آل « است » وبجواره منضدة مغطاة بالمخمل الأحمر ايضا ٠ فى المؤخرة باب كبير ، والى اليمين باب صغير والى اليســار باب آخر خفى ، ترى من خلفه ومن خـــلال مقصورة أعدت على المسرح قمة ســـلم لولبى الشكل يهبط الى السرداب ، يسرى اليه الضوء من نافذة طويلة ضيقة ذات قضبان) ٠

المشـــهد الأول

دون ألفونس ديست فى حلة من
ألوان شــــعاره وفى صـــحبته
روسيتجللو فى كســوة ذات ألوان
وان كانت من قماش أقل جودة ٠

روسيتجللو : مولاى الأمير ، هذه أوامرك الأولى نفذتها ، وأنا فى انتظار غيرهـــا ٠

دون ألفونس : خذ هذا المفتاح ، وامضى الى بهونوما ، عد جميع المسطحات المأطورة على الجدران الخشبية بادئا بتلك اللوحة الكبيرة القريبة من الباب ، وهى اللوحة التى تمثل هرقل ابن جوبيتير وهو أحـــد أحدادى ، حتى اذا بلغت الاطار الرابع والعشرين سترى فرجة صغيرة خبيئة فى فم ثعبان مذهب من صنع ميـلانو ، وهـــذه لوحة أشار بنقشها لودفيك مور ٠ أولج المفتاح فى هذه الفرجة ، فيدور الاطار على محوره كما يدور الباب ، وهناك فى الخزانة الخفية التى يغطيها الأطار ، وعلى صفحة من البللور ستجد قنينة من الذهب وأخـرى من الفضة وكأسين من الميناء ٠ فى القنينة الفضية ماء قراح ، وفى القنينة الذهبية نبيذ معد ، عليك أن تأتى بالصفحة دون أن تعبث بما عليها الى المكتب المجاور لهـــذه القـــاعة ٠ روسيتجللو ، لعلك سمعت ذات يــوم عن أناس تصطك أسنانهم من فرط الهول وهم يتحدثون عن سم آل بورجيا المشهور ، وما هو الا مسحوق أبيض براق كغبار رخام كرار ، اذا ما مزج بالنبيذ أحال نبيذ رومورانتين الى نبيذ سيراكوز ، فحذار أن تمس القنينة الذهبية ٠

روسيتجللو : أهذا كل ما فى الأمر يا مولاى ؟

دون ألفونس : كلا ٠٠ ستتوشح أجـــود سيوفك ثم تمضى الى مكتبى ، وتظل واقفا وراء الباب بحيث تسمع كل ما يدور هنا ٠ وعليك أن تدخل عند أول اشارة منى اليك بهذا الجرس الفضى الذى تعرف رنينه (مشيرا الى جرس صغير فوق المنضـــدة) فاذا ناديت فى بساطة ، روسيتجللو ، فعليك بالدخول حاملا الصفحة ، أما اذا هززت الجرس فادخل والسيف فى يدك ٠

روسيتجللو : كفى يا مولاى ٠

دون ألفونس : احمل سيفك مجردا من غمدة حتى لا تتكبد عناء سله ٠

روسيتجللو : حسنا ٠

دون ألفونس : روسيتجللو ، بل أحمل سيفين ، فقد يتحطم أحدهما ٠ والآن انصرف ٠

(ينصرف روسيتجللو من الباب الصغير) ٠

حاجب : (داخلا من باب المؤخرة) سيدتى الأميرة تريد أن تتحدث الى مولاى الأمير ٠

دون ألفونس : دعها تدخل ٠

المشــهد الثانى

دون ألفونس ـ دونا لوكريزيا

دونا لوكريزيا : (قادمة فى ثورة عارمة) سيدى ٠ سيدى ! هذا أمر مهين أمر مخز ، أمر بشع ٠ أتعلم ماذا صــنع واحــد من رعاياك يا دون ألفونس ؟ لقد شوه اسم زوجك المنقوش تحت شعار أسرتى على واجهة قصرك ٠ ولقد حدث ذلك علانية وفى وضح النهــار ٠ أما عن الفاعل فمجهول لدى ٠ لكن الحادث جد مهين وجد جرىء ٠ لقد جعل من اسمى لافته للخزى والعار ، وهذا شعبك يا سيدى ، شعب فرار ، أحط شعوب ايطاليا ، يهلل هناك فى سخرية حــول شعارى ، كما يهلل حــول وتد شد اليه أحد المذنبين ٠ ألا يدور بخلدك يا دون ألفونس أننى أتقزز من هذه الأوضــاع وأننى أوثر الموت مرة واحدة بطعنة خنجر على موتى ألف مرة بلذعات سامة من السخرية والقذف ؟ أننى أعامل فى امارتك يا ســيدى معــاملة شاذة ، ولقد بدأت أضيق ذرعا بتلك الحال ٠ وانى أراك تبــدو ساكنا ناعم البال بينما يمرغون فى أوحال مدينتك سمعة زوجك بعد أن مزقتها أنياب القذف والبهتان ٠ لابد من ترضية مدوية عما جرى ٠ وهذه ارادتى أخطرك بها يا سيدى الدوق فتهيأ للقصاص ٠ ألا ترى فيما يجرىأمورا جسيمة ذات بال ؟ أتظن مثلا ألا سند لى من جاه فى هذا الوجود ، وأن فى وسع زوجى أن يتخلى عن وصفه حامى

وفارسي ؟ كلا يا مولاى ، من له زوجة فعليه حمايتها ، ومن قدم يده فلابد أن يقدم ساعده أيضا ، فالزوج هو العماد والسند · انني

أصلى في كل يوم اهانات جديدة ولا أراك قط تحرك ساكنا · أما تلطخك الأوحال التي يطمسونني بها يا دون ألفونس ؟ هيا ، أستحلفك بحياتي وأناشدك أن تحتد بعض الشيء · أود أن أراك مرة في العمر غاضبا من أجلى يا سيدى ! انك تصارحني أحيانا بكلفك بى ، فليكن كلفك بمجدى أيضا · أولست غيورا ؟ فلتكن غيرتك على سمعتي · اذا كنت قد ضاعفت ببائنتي ما آل اليك من مقاطعات ، واذا كنت بزواجي منك قد حملت اليك ـ ليس الوردة الذهبية وبركة الأب المقدس فحسب ـ وانما حملت اليك أيضا ما وسع ملكك في الأرض · سيين وريميني وسيزنيا وسبوليت وبيومبينو ، وزودتك من المدائن بما يزيد على ما تقتنى من قصور ومن الدوقيات بما يفوق ما لديك من بارونيات ، واذا كنت بذلك قد جعلت منك أعظم أمراء ايطاليا شأنا فما ذلك بسبب يحدوك يا سيدى الى أن تدع شعبك يسخر مني ويشهر بى ويسبني ، وأن تدع امارتك فرار تشير بالبنان لأوروبا بأسرها الى زوجك كأحقر وأوضع من خادمة حجاب سواس خيلك · أقول لك ما هذا بسبب يجعل شعبك لا يملك أن يراني بين ظهرانيه دون أن يهتف : آه ، ها هي ذى المرأة الآثمة ولهذا فانني أطالبك يا سيدى بتعقب جريمة اليوم والقصاص لى بما يليق بمقامي والا شكوتك الى البابا ، والا شكوتك الى أخي فالانتينوا ، وهو مرابط هناك في مدينة بورلى وبصحبته خمسة عشر ألفا من المحاربين · والآن عليك أن تقدر ما اذا كان الأمر يستحق منك عناء النهوض من مقعدك أم لا ·

دون ألفونس : سيدتى ، انني على علم بالجريمة التي تشكين منها ·

دونا لوكريزيا : كيف هذا يا سيدى ؟ أتكون على علم بالجريمة ولا يكتشف الجاني ؟

دون ألفونس : واكتشف الجاني ·

دونا لوكريزيا : سبحان الله ! واذا ما اكتشف الجاني فكيف لا يقبض عليه ؟

دون ألفونس : وألقى القبض عليه يا سيدتى ٠

دونا لوكريزيا : أما وقد ألقى القبض على الجانى ، فلماذا ـ وحقى لديك ـ لم يلق جزاءه بعد ؟

دون ألفونس : سيلقى جزاءه على الفور ، لكنى أردت قبـــل كل شيء أن استطلع رأيك فى شأن الجزاء ٠

دونا لوكريزيا : لقد أحسنت صنعا يا مولاى ، أين هو ؟

دون ألفونس : هنـــا ٠

دونا لوكريزيا : هنـــا ؟ حســنا ، ليكن مصيره عبرة لغيره ، لعلك تعلم يا سيدى أنها جريمة عيب فى الذات الأميرية ، وفى مثـل هذه الجرائم لابد من قطع رأس المدبر ويد المنفذ ٠ ويحى ! أهو هنا ؟ حسنا ، أريد أن أراه ٠

دون ألفونس : هذا أمر يسير ٠ (مناديا) بوتبستا !

(يظهر الحاجب) ٠

دونا لوكريزيا : كلمة أخرى يا سيدى قبل أن يؤذن للمذنب بالدخول ٠ اعطنى عهدا يا ألفونس ـ كأمير يحمل التاج على مفرقة ـ بأنه لن ينصرف من هنا حيا ؟ مهما كان شأنه وسواء أكان من رعيتك أو من آل بيتك ٠

دون ألفونس : لك منى هذا العهد ٠ أوعيت ما أقول يا سيدتى ؟

دونا لوكريزيا : حسنا ، لقد وعيته بلا شك ٠ جيئوا به الآن ٠ أريد أن أحاوره بنفسى ٠ رباه ! ماذا جنيت على أهل فرار حتى ألقى منهم مثل هذا الاضطهاد ؟

دون ألفونس : (مخاطبا الحاجب) أدخل السجين ٠

(ينفرج باب المؤخرة ويبدو جينارو منزوع السلاح بين حارسين من حملة الحراب ٠ وفى ذات الآونة يرى روسميتجللو وهو يرتقى درج المقصورة الصغيرة القائمة على اليسار خلف الباب الخلفى، حاملا فى يده صفحة عليها قنينة ذهبية وأخرى فضية وكأسان ٠ يضـــع الصفحة على دعامة النافذة ، ثم يستل سيفه ويتوارى خلف الباب ٠

المشــهد الثالث

نفس الأشخاص ـ جينارو

دونا لوكريزيا : (على حدة) جينارو !

دون ألفونس : (يدنو منها وعلى فمه ابتسامة ثم يهمس) أتعرفين هـــذا الرجـــل ؟

دونا لوكريزيا : (على حدة) رباه ، ما أعجبه من قدر !

(تتطلع الى جينارو فى قلق ثم تحول بصرها عنه) ٠

جينارو : سيدى الدوق ٠ أنا ضابط صغير ، وانى أسألك بكل ما ينبغى لك من اجلال واحترام ، لقد أمرت بالقبض على فى مسكنى هـــذا الصباح فما مرادك منى ؟

دون ألفونس : أيها الضابط ، لقد قورفت صباح اليوم جريمة عيب فى الذات الأميرية ، فشوه أحدهم فى جرأة ووقاحة اسم زوجنا المحبوبة وابنة عمتنا لوكريس بورجيا ، وكان منقوشـــا على واجهة قصرنا الأميرى ونحن نفتش عن الجانى ٠

دونا لوكريزيا : ليس هذا هو الجانى ! هناك ثمة خطأ يا دون ألفونس ٠ انه ليس هذا الشاب ٠

دون ألفونس : وكيف علمت ؟

دونا لوكريزيا : أنا واثقة مما أقول ٠ ان هذا الشاب من فينيسيا وليس من فرار ، ولذا ٠٠٠

دون ألفونس : وما دلالة ذلك ؟

دونا لوكريزيا : لقد وقع الحادث هذا الصباح ، وأنا أعلم أنه كان فى تلك الأثناء لدى من تدعى فياميتا ٠

جينارو : كلا يا سيدتى ٠

دون ألفونس : ها قد تبين لسـموك كذب ما نمـى الى علمك ، دعينى أسأله ٠٠٠ أيها الضابط ، هل أنت الذى ارتكبت هذا الجرم ؟

دونا لوكريزيا : (ذاهلة) اننى أختنق هنا ! هواء ! هواء ! انى بحاجة الى استنشاق بعض الهواء !

(تمضي الى النافذة ، واذ تمر بجوار جينارو تهمس اليه في عجله)
قل أنك لست هذا الشخص !

دون ألفونس : (على حدة) لقد همست اليه ٠

جينارو : دون ألفونس ، لقد لقنني صادة السمك في كالابر ، أولئك الذين قاموا على تنشئتي وغمروني وأنا بعد طفل صغير في ماء البحر ، حتى يخلقوا مني انسانا قويا وجسورا ، لقنني هؤلاء حكمة قد يغامر من يعمل بها بحياته ولكن ليس بشرفه ، افعل ما تقول وقل ما تفعل ٠ يا دون ألفونس ، أنا من تبحث عنه ٠

دون ألفونس : (ملتفتا الى دونا لوكريزيا) سيدتي ، لك عهدى الذى قطعته لك كأمير يحمل التاج على مفرقه ٠

دونا لوكريزيا : سيدى ، لى كلمتان أود أن أقولهما لك على انفراد ٠
(يومىء الأمير الى الحاجب والحارسين بالانصراف برفقة السجين الى قاعة مجاورة) ٠

المشهد الرابع

دونا لوكريزيا ـ دون الفونس

دون الفونس : ماذا تريدين أن تقولى يا سيدتى ؟

دونا لوكريزيا : أريد أن أقول لك يا دون ألفونس أننى لا أروم موت هذا الشاب ٠

دون الفونس : منذ لحظات فقط ، أقبلت على كالعاصفة الهوجاء ، ثائرة باكية ، وشكوت لى مما لحق بك من مهانة ، وطالبت بين الصياح والسباب برأس الجانى ، وسألتنى عهد الأمراء ألا ينصرف من لدنى حيا ، فقطعت لك هذا العهد بأمانة وصدق ، والآن لا تودين موته ٠ قسما بالمسيح يا سيدتى ان هذا لأمر عجاب !

دونا لوكريزيا : لا أريد أن يموت هذا الشاب يا سيدى الدوق !

دون الفونس : سيدتى ، ليس من شيمة النبلاء ذوى الحسب العريق مثلى أن يجعلوا عهودهم رهنا بأى شيء ، لقد أعطيت كلمتى ولن أسحبها٠

لقد أقسمت بشرفي لأميتن هذا المذنب فهو ميت لا محالة ، ولك أن تختارى وسيلة موته ٠

دونا لوكريزيا : (في لهجة مرحة تفيض عذوبة) على رسلك يا دون ألفونس ، ان ما يدعو اليه كلانا هو في الحق ضرب من الجنون ٠ أشهد أنني امرأة حمقاء ٠ لقد دللني والداى ، وكان الناس منذ نعومة اظفارى يستجيبون لكل نزواتى ، فماذا تنتظر منى ؟ اللهم الا أن لا أرغب الآن فيما كنت أرغب فيه من ربع ساعة ، ولعلك تعلم حق العلم يا دون ألفونس أن هذا هو شأنى دائما ٠ هيا ، تعال اجلس هنا بجوارى ودعنا نتحدث قليلا فى حنان وصدق كأليفين ، بل كصديقين حميمين ٠

دون ألفونس : (مصطنعا اللطف من جانبه) أنت سيدتى ومولاتى يا دونا لوكريزيا ، واننى لجد سعيد اذ يطيب لك وجودى لحظة تحت قدميك ٠ (يجلس بالقرب منها) ٠

دونا لوكريزيا : ما أحلى الوفاق والوئام ٠ أو تعلم أننى لازلت أحبك كما أحببتك فى أول يوم من زواجنا ؟ ذلك اليوم الذى شهد دخولك الرائع الى روما بين أخى السيد فالنتينو وأخيك السيد الكاردنيال ديست ٠ كنت فى شرفة الكنيسة المدرجة ومازلت أذكر جوادك الأبيض الجميل المطهم بالذهب ، وطلعتك البهية كملك يعتلى صهوته !

دون ألفونس : وكنت بدورك يا سيدتى رائعة الحسن باهرة السنى وأنت جالسة فى مقصورتك التى صنعت من الدمقس المحلى بالفضة ٠

دونا لوكريزيا : آه ، لا تتحدث عنى يا مولاى حين أحدثك عن نفسك ، لامراء فى أن سائر أميرات أوروبا قد حسدننى على اقترانى بخير فوارس المسيحية ، أما عن نفسى فاننى أخلص لك الحب كما لو كنت فى ربيعى الثامن عشر ، أنت تعلم أننى أحبك ، ولا أخالك فى ريب مما أقول ٠ أليس كذلك يا ألفونس ؟ اننى أبدو أحيانا جافية بل وشاردة أيضا ، وهذا مرده الى خلقى وليس الى قلبى ٠ اصغ الى يا ألفونس ، لو انك نهرتنى على ذلك برفق لانصلح حالى على الفور ٠ ما أجمل حبنا ! هات يدك ، قبلنى يا دون ألفونس ! ان ما أفكر فيه الآن فى الواقع ، وما أراه مضحكا للغاية ، هو أن أميرين مثلنا ، يتربعان جنبا الى جنب على أجمل عروش الدنيا ، أميرين تؤلف بين

قلوبهما أواصر الحب كادا يعتركان من أجل ضابط فينيسى صغير ومغامر مسكين ! يجدر بنا أن نطرد هذا الرجل وأن نكف الحديث عنه٠ليذهب هذا المستهتر حيث يشاء٠أليس كذلك يا دون ألفونس؟ ان الأسد وأنثاه لا يتغاضبان على بعوضة ٠ أتعلم يا مولاى ، لو منح تاج الامارة فى مسابقة لأجمل فرسان دوقيتك فرار لما ظفر به أحد سواك ٠ انتظرنى حتى أذهب فأطلب باسمك الى بوتستنا أن يطرد المدعو جينارو من فرار بأسرع ما يمكن ٠

دون ألفونس : ما من شيء يدعو الى العجلة !

دونا لوكريزيا : (سادية الفرح) أود ألا أشغل الفكر بعد الآن فى هذا الشأن ٠ دعنى يا سيدى أنهى هذا الموضوع وفق رغبتى ٠

دون الفونس : بل يجب انهاؤه وفق رغبتى أنا ٠

دونا لوكريزيا : ولكن على أية حال ياعزيزى الفونس ، مامن مبرر يدعوك الى طلب الموت لهذا الرجل ٠

دون الفونس : وعهدى الذى قطعته لك ؟ ان لقسم الملوك قداسة ٠

دونا لوكريزيا : هذا كلام قد يجوز على الشعب ، أما أن توجهه الى يا ألفونس ، فهذا مالا ينطلى على أحد منا ٠ فلقد عاهد الأب المقدس شارل الثامن ملك فرنسا على الأبقاء على حياة زيزيمى وقداسته هو الذى أجهز عليه ، ثم تعهد السيد دى فالنتينوا بتسليم نفسه رهينة الى شارل الثامن ذاته غير أنه فر هاربا من المعسكر الفرنسى حين استطاع الى ذلك سبيلا ٠ وأنت نفسك تعهدت برد مقاطعة سيين الى آل بتروتشى ولكنك لم تفعل ، وما كان لك أن تفعل ٠ ان تاريخ الدول حافل بهذه المواقف ، ولن تعيش الدول أو الملوك يوما واحدا ان هى انجزت عهودها العقيمة ٠ ولا أخفى عليك يا ألفونس أن القسم لايعد ملزما الا حين لامناص من البربه ٠

دون الفونس : ومع ذلك فالقسم يادونا لوكريزيا ٠٠٠

دونا لوكريزيا : لاتدل الى بمثل هذه المبررات البغيضة ، فلست بالمرأة الغبية ، وأولى بك أن تصارحنى ياعزيزى الفونس ، ان كان هناك ما يثير حفيظتك على جينارو ٠ كلا ؟ حسنا ، هب لى حياته بعد اذ وهبت لى راضيا مماته ٠ ماذا يضيرك ان كان يروق لى الصفح عنه ؟ أنا التى أهينت ٠

دون الفونس : ولهذا السبب عينه ــ وهو اهانته لك ــ لا أريد يا حبيبتي العفو عنه !

دونا لوكريزيا : ان كنت صادقا في حبك لي يا ألفونس فلن يطول رفضك لما طلبت . قد يلذ لي أن أبذل من جانبي سعي ينطوي على الرحمة، وتلك وسيلة تكسبني محبة شعبك وهذا ما أصبو اليه ، الرحمة يا الفونس وما أدراك ما الرحمة ! ، انها تجعل الملوك أقرب ما يكون شبها بعيسى المسيح . فلنكن ملوكا رحماء . ان في ايطاليا التعسه ما يكفيها من الطغاة ــ ناهيك بنا ــ من البارون نائب البابا الى البابا نائب الله . لنضع لهذا الأمر خاتمة يا عزيزي الفونس اطلق سراح جنيارو ! لك أن تحسبها ان شئت نزوة ، لكنها نزوة لها قداستها وجلالها حين تتمخض عن انقاذ رأس انسان .

دون الفونس : لا أستطيع يا عزيزتي لوكريس .

دونا لوكريزيا : لاتستطيع ؟ ولماذا لا تستطيع أن تهبني شيئا لاوزن له وهو حياة هذا الضابط ؟

دون ألفونس : تسألينني لماذا يا حبيبتي ؟

دونا لوكريزيا : نعم . لماذا ؟

دون ألفونس : لأن هذا الضابط هو عشيقك يا سيدتي !

دونا لوكريزيا : يا للسماء !

دون ألفونس : لأنك ذهبت تبحثين عنه في فينيسيا ، وقد تذهبين للبحث عنه في جهنم ! ولأنني تعقبتك بينما كنت تتعقبينه فرأيتك تطاردينه وأنت متنكرة لاهثه كما الذئبة تطارد فريستها ! ولأنك كنت تطوقينه منذ هنيهة بنظرة تفيض بالدمع والأسى . ولاشك عندي في أنك فرطت له في عرضك يا سيدتي ! ولما كان في مثل هذا العار والفجور الكفاية ، فقد آن الأوان لكي أثار لشرفي وأجري حول مضجعي بركة من الدم . أوعيت ما أقول ياسيدتي ؟

دونا لوكريزيا : دون ألفونس ...

دون ألفونس : اصمتي . لك أن تسهري من الساعة على حياة عشاقك يالوكريس ، ولك أن تقيمي على باب الدخول الى مخدعك من يروقك من الحجاب ، أما باب الخروج منه فسوف يقوم عليه من الآن حارس توليت بنفسي اختياره ، ألا وهو الجلاد .

دونا لوكريزيا : مولاى · أقسم لك ···

دون ألفونس : لاتقسمى فان ايمانك ان جازت فعلى الشعب وحدة ، ولاتدلى الى بمثل هذه المبررات البغيضة ·

دونا لوكريزيا : لو كنت تعلم ···

دون ألفونس : أنصتى الى يا سيدتى · اننى أمقت آل بورجيا جميعا ــ وهم اسرتك اللعينة ــ وفى مقدمتهم أنت ، أنت التى أحببت بجنون! لابد لى أخيرا من مصارحتك ، لقد كان حدثا مشـــينا وعجيبـــا لم يسمع به من قبل أن تتحالف فى شخصينا أسرة است ــ من سمت قدرا على أسرتى فالوا وتيودور ــ مع أسرة بورجيا وهى التى لا تحمـــل حتى هذا اللقب ، بـــل ننتسب الى لينزولى أولينزوليو ولايعرف أيهما الأصح ! ألا أننى أبغض أخاك سيزار ، من تلطخ وجهه بوصمات طبيعية من الدماء وهو قاتل أخيك جان · واننى لأبغض أمك روزافانوزا ، تلك الغانية الاسبانية العجوز التى دنست شرف روما بعدما دنست شرف فالانس ! أما عن ابنى أخيك الزائفين دوقى سرمونيتو ونيبى فيالهما والله من دوقين ! خلقتهما دوقيتان سليبتان ! دعينى أكمل حديثى · اننى أبغض أباك الذى يتربع على كرسى البابوية ويقتنى سربا من الجوارى أسـوة بباجازيه سلطان الترك · اننى أمقت أباك الزنديق ، من أتخم السجن بعلية القوم والمجمع المقدس ···· باللصـــوص ، حتى ليتســاءل من يراهم وهم جميعا فى أرديتهم الحمراء ــ مجرمين وكرادلة ــ من منهـم المجرمون ومن منهم الكرادلة ! والآن لك أن تنصرفى !

دونا لوكريزيا : مولاى ··· اننى أضرع اليك ، وأنا معقودة اليدين جاثية تحت قدميك ، وأستحلفك بالمسيح ومريم البتول أن تبقى على حياة هذا الضابط ·

دون ألفونس : هذا هو الحب بعينه ! فى وسعك ياسيدتى أن تصنعى بجثته ما يحلو لك ! لقد اقتضت مشيئتى أن يتم الخلاص منه قبل أن يمضى من الزمن ساعة !

دونا لوكريزيا : رحمة بجينارو !

دون ألفونس : لو أنك استطعت أن تقرئى آيات العزم الكامن فى نفسى لما أطلت حديثك عنه وقد مات وانتهى ·

دونا لوكريزيا : (ناهضة من مقعدها) حذار يا دون ألفونس · حذاريا دوق فرار يا رابع أزواجى !

دون ألفونس : لاتتظاهرى بارهابى ياسيدتى ، فأنا والله لا أخافك ! انى عليم بأساليبك ، ومن ثم فلن أجرع السم كما تجرعه زوجك الأول ، هذا النبيل الاسبانى المسكين الذى لا أعرف له اسما ولا أنت أيضا ، ولن أتعرض للطرد كما تعرض زوجك الثانى ، هذا الغبى « جان سفوزا » أمير بيزارو ، ولن يكون مصرعى بطعنات الحراب على درج السلم كما حدث لزوجك الثالث دون ألفونس أمير أراجون، هذا الفتى الهزيل الذى لم تخصب دماء الأرض كأنما كانت ماء قراحا ! على رسلك يا سيدتى ، فأنا رجل بمعنى الكلمة ، يشيع اسم هرقل بين أسرتى · وقسما بالسماء ، لدى من الجند بقدر ما تسع مدينتى وامارتى وأنا نفسى واحد منهم ، هذا الى أننى لم أبع بعد ــ كما فعل من قبل ملك نابولى المسكين ــ مدفعيتى العظيمة للبابا أبيك المقدس !

دونا لوكريزيا : سوف تندم على هذا القول ياسيدى · لعلك نسيت من أنا · · ·

دون ألفونس : انى أعلم حق العلم من أنت ، ولكننى أعلم كذلك أين أنت · أنت ابنة البابا ولكنك لست فى روما ، وأنت حاكمة سبوليت ولكنك لست فى سبوليت · انما أنت زوج ألفونس دوق فرار وخادمته ، وأنت هنا فى فرار !

(تتطلع دونا لوكريزيا الى الدوق وهى شاحبة الوجه من فرط الفزع والغضب ، وتتقهقر فى بطء أمامه حتى تصل الى المقعد، فتتهالك عليه متداعية واهنة) آه ، لعلك تدهشين يا سيدتى اذ أمسيت تخافيننى وأنا الذى كنت حتى الساعة أخافك · سأعمل على دوام تلك الحال ولقد بدأت الصراع ، وهذا أول عاشق يقع فى قبضة يدى ، وسوف يموت ·

دونا كوكريزيا : (فى صوت حائر) دعنا نحكم العقل قليلا يادون الفونس ان كان هذا الرجل هو الذى عاب فى ذاتى ، فليس من المعقول أن يكون فى الوقت عينه عشيقى .

دون الفونس : ولم لا ؟ ربما فعل ما فعل فى ثورة غضب أو غيظ أو غيره ! قد يكون هو الآخر غيورا من أدرانى ؟ أريد أن يموت هذا

الرجــل وتلك هى رغبتى ! ان القصر زاخر بالجنـــود المخلصين الذين لا يعرفون مولى سواى ، ومن ثم لن يستطيع الهرب ، ولن تستطيعى الوقوف فى سبيلى ياسيدتى ، ولقد تركت لسموك حرية اختيار وسيلة قتله فاتخذى قرارك ٠

دونا أوكريزيا : (معقودة اليدين) رباه رباه ! رباه !

دون ألفونس : ألا تجيبين ؟ سآمر بقتله بطعنة سيف فى الغرفة المجاورة (يهم بالخروج فتمسك بذراعه)

دونا لوكريزيا : مكانك !

دون الفونس : أتفضلين ان تصبى له بنفسك قدحا من نبيذ سيراكيوز ؟

دونا لوكريزيا : جينارو ا !

دون الفونس : لابد من موته ٠

دونا لوكريزيا : ليس بطعنة سيف !

دون ألفونس : لا تهمنى الوسيلة كثيرا .

دونا لوكريزيا : لتكن الوسيلة الأخرى !

دون الفونس : اذن فاحرصى على الا تخطىء ، وان تصبى له بنفســك من القنينة الذهبية التى تعرفينها . سأباشر العملية بنفسى على أية حال ، فلا تتوهمى اننى تاركك وحدك .

دونا لوكريزيا : سأفعل ما تشاء .

دون ألفونس : بوتيستا ! أدخل السجين

(يظهر حارس الباب)

دونا لوكريزيا : ما أفظعك من رجل يا سيدى !

المشــهد الخامس

نفس الأشخاص ـ جينارو ـ الحراس

دون الفونس : ما هذا الذى أسمع يا جينارو ؟ ماذا صنعت هذا الصباح لعلك أقدمت على فعلتك هذه عن تحد وطيش وليس عن سوء قصــد ، مما حمل ســيدتى الأميرة على العفو عنك ، هذا الى اننى

ألمس فيك شجاعة وبسالة ، واذا كان ذلك كذلك ، فقسما بأمى فى مقدورك أن تعود سالما الى فينيسيا ، فلا يرضى الله أن أحرم جمهورية فينيسيا العظيمة من خادم وفى ، أو أحرم المسيحية من ساعد أمين يحمل السيف مخلصا فى خدمتها ، بينما الوثنيون واعراب المغرب يدنون من شواطئ جزيرتى قبرص وكريت !

جينارو : نعم الرأى يا مولاى . وانى مصارحك بأننى ما كنت أتوقع هذه الخاتمة ، فشكرا لك يا صاحب السمو . ان الرحمة شيمة الملوك . والله يرحم فى السماء من رحم الناس على الأرض .

دون ألفونس : أترى خدمة الجمهورية مجزية أيها الضابط ؟ وكم تدر عليك فى سنى اليسر والعسر ؟

جينارو : انى أتولى أمر جماعة من خمسين فارسا يا مولاى ، أقوم بالانفاق عليهم وكسائهم ، وتنقدنى جمهوريتنا الموقرة ألفى دينار من الذهب فى العام ، فضلا عن الغنائم والأسلاب .

دون ألفونس : واذا منحتك أربعة آلاف ، فهل تقبل الدخول فى خدمتى ؟

جينارو : لا أستطيع يا مولاى ، فلا تزال أمامى خدمة الجمهورية خمسة أعوام . وقد ارتبطت .

دون ألفونس : ارتبطت ! وكيف ؟

جينارو : بقسمى .

دون ألفونس : (بصوت خفيض الى دونا لوكريزيا) يبدو أن هؤلاء القوم يبرون بالقسم يا سيدتى (بصوت مرتفع) لنترك الحديث فى هذا الموضوع يا سيد جينارو .

جينارو : مولاى . ما أقدمت على مجبنة فى يوم من الأيام بغية الظفر بالنجاة ، ولكن بما أنك أبقيت على حياتى ، فلا بأس من أن أذكر لك الآن هذه الواقعة . لعلك تتذكر حصار فاينزا منذ عامين ، حيث تعرض للردى والدك — سمو الدوق هرقل ديست — بيد اثنين من الرماة من آل فالنتينوا ، وكانا يقصدان الى قتله ، فأنقذ حياته جندى مغامر .

دون ألفونس : نعم . وما استطاع أحد الاهتداء الى هذا الجندى .

جينارو : أنا ذلك الجندى يا مولاى .

دون الفونس : يالله ! أقسم أنها لمأثرة جديرة بحسن الجزاء أيها الضابط ، ألا قبلت منى هذا الكيس من النقود الذهبية ؟

جينارو : اننا نقسم حين نلتحق بخدمة الجمهورية على ألا نقبل مالا من أمير أجنبى ، ولكن اذا أذنت لى يا مولاى أخذت الكيس ووزعت ما فيه باسمى على هؤلاء الجنود البواسل · (مشيرا الى الحراس) ·

دون ألفونس : لك ما تريد · (يتناول جينارو الكيس) ولكن على شرط أن تحتسى معى بعد اذا أصبحنا صديقين حميمين كأسا من نبيذ سيراكيوز ، وفقا لتقليد قديم سار عليه آبائى وأجدادى ·

جينارو : بكل سرور يا مولاى ·

دون ألفونس : ولكى أحتفى بك كما ينبغى لمن أنقذ حياة أبى ، فقد اقتضت ارادتى أن تملأ لك الكأس سيدتى الدوقة بنفسها (ينحنى جينارو فى احترام ، ثم يمضى الى مؤخرة المسرح ليوزع المال على الجنود · ينادى الدوق) روستيجللو !

(يظهر روستيجللو حاملا الصفحة)

ضع الصفحة هناك ، على تلك المنضدة ـ حسنا ·

(يجذب دونا لوكريزيا من يدها) سيدتى ، أنصتى لما أقول لهذا الرجل ـ روستيجللو ، عد الى مكمنك خلف الباب ، واستل سيفك ، فاذا سمعت رنين هذا الجرس فادخل · انصرف ·

(ينصرف روستيجللو ، ويرى وقد اتخذ مكانه خلف الباب) ،

سيدتى ، هيا ؛ صبى بنفسك كأسا لهذا الشاب ، وعليك أن تصبى له مما فى القنينة الذهبية ·

دونا لوكريزيا : (شاحبة الوجه فى صوت خافت) ليت شعرى ! لو كنت تعلم ماذا تصنع الآن ،، ومدى بشاعة ما تصنع ، لارتعدت فرائصك من هوله مهما كنت فظا غليظ القلب يا مولاى !

دون ألفونس : عليك أن تتحققى من القنينة ـ حسنا ، أيها الضابط !

(يعود جينارو أدراجه الى مقدمة المسرح بعد فراغه من توزيع المال ـ يصب الدوق لنفسه فى احدى الكأسين المصنوعين من الميناء مما فى القنينة الفضية ثم يتناول الكأس ويرفعها الى شفتيه)

جينارو : اننى جد ممنون من عطفك السابغ يا مولاى ·

دون ألفونس : سيدتى ، املئى كأسا للسيد جينارو ، كم تبلغ من العمر أيها الضابط ؟

جينارو : (يتناول الكأس الأخرى ويقدمها الى الدوقة) عشرون عاما ·

دون ألفونس : (بصوت خافت الى الدوقة وهى تحاول أن تأخذ القنينة الفضية) خذى القنينة الذهبية يا سيدتى ٠

(تتناول القنينة الذهبية بيد مرتجفة)

أهكذا ؟ لابد أنك تحب !

جينارو : ومن منا لم تصبه سهام الحب ؟

دون ألفونس : أرأيت يا سيدتى ؟ لعلها كانت قسوة منا أن نحرم هذا الضابط من الحياة والحب وشمس ايطاليا ونضارة العمر فى سن العشرين ، ومن حرفته المجيدة كمحارب ومغامر ، تلك الحرفة التى بدأت بها سائر البيوتات الملكية ، ثم من الأعياد والحفلات التنكرية ومغانى فينيسيا المرحة وهى مسرح خديعة الكثيرين من الأزواج والغيد الحسان ٠ وربما أوقعن فى حبائل حبهن هذا الشاب ، ولا مناص من وقوعهن فى شراك حبه ٠ أليس كذلك يا سيدتى ؟ املئى للضابط كأسا ٠ (فى صوت خفيض) ان ترددت أمرت بدخول روستيجللو ٠

(تصب الكأس لجينارو دون أن تنبس ببنت شفة)

جينارو : شكرا لك يا مولاى اذ أبقيت على حياتى من أجل أمى التعسة ٠

دونا لوكريزيا : (على حدة) يا للهول ؟

دون ألفونس : (وهو يشرب) فى صحتك أيها الضابط ٠ ولتعش سنين عديدة ٠

جينارو : وانى أسأل لك الله المثل يا مولاى ٠ (يشرب)

دونا لوكريزيا : (على حدة) يا للسماء !

دون ألفونس : (على حدة) قضى الأمر !

(فى صوت مرتفع) والآن أتركك يا عزيزى الضابط ، ولك أن تعود الى فينيسيا حين تشاء ٠

(فى صوت خافت الى دونا لوكريزيا) لعلك تشكرينني ياسيدتى اذ هيأت لك فرصة الانفراد به ٠ لا مراء فى أنك ترومين وداعه ٠ عيشى معه ـ ان شئت ـ آخر لحظات حياته ٠

(ينصرف والحراس فى اثره)

المشـهد السادس

دونا لوكريزيا ــ جينارو

(لا يزال روستيجللو قابعا فى المقصورة وراء الباب الخلفى)

دونا كريزيا : جينارو ! انك مسموم !

جينارو : مسموم يا سيدتى !

دونا لوكريزيا : أجل مسموم ٠

جينارو : كان على أن أرتاب فى الأمر وقد صببت لى النبيذ بيدك ٠

دونا لوكريزيا : أواه ! لا تثر أحزانى يا جينارو ، ولا تسلبنى بقية من جلد مازلت فى حاجة اليه لبضع لحظات ٠ اصغ الى ، ان الدوق يغار منك ، ويظن أنك عشيقى ، وهو لم يدع لى من خيار آخـر الا أن أراك مطعونا بخنجر بيد روستيجللو أو أن أسكب لك السم الزعاف بيدى ، انه سم مخيف يا جينارو ، يشحب لمجرد التفكير فى أذاه وجه كل ايطالى يعى تاريخ السنوات العشرين الأخيرة ٠

جينارو : نعم ، سم آل بورجيا ٠

دونا لوكريزيا : لقد تجرعته ٠ وما من أحد فى العالم يعرف ترياقا لهذا المزيج العجيب سوى البابا والسيد دى فالنتينوا وأنا ٠ أنظر ، أرأيت هذه القنينة التى أحملهـا دائمـا خبيئة فى حزامى ؟ هذه القنينة يا جينارو وهى الحياة ، هى العافية ، هى النجاة والسلامة ٠ قطرة واحدة منها على شفتيك فيها نجاتك !

(تريد أن تقرب القنينة من شفتى جينارو فيتراجع)

جينارو : (محملقا فى وجهها) من أدرانى يا سيدتى ؟ فقد يكون مافيها هو السم بعينه ؟

دونا لوكريزيا : (تتهالك بلا وعى على مقعدها) يا الهى ، يا الهى !

جينارو : أو لست لوكريس بورجيا ؟ أتظنين اننى لا أذكر قصة شقيق باجازيه ؟ نعم اننى أعى قسطا من التاريخ ٠ لقد أدخلو فى روعه هو الآخر أن شارل السابع قد دس له السم ، ثم أسـقى ترياقا كان فيه مماته ٠ أما اليد التى قدمت اليه الترياق فهى اليد التى تحمل الى هذه القنينة ، وأما اللسان الذى دعاه الى تجرعه فهـو الذى يحدثنى !

دونا لوكريزيا : يا لى من امرأة شقية !

جينارو : أصغى الى ياسيدتى · اننى لا أغتر بمظاهر حبك · ما من شك فى أنك تنوين بى شرا مستطيرا ، فهذا مالا يحتاج الى بيان ، ولامراء فى أنك تعلمين حقيقة أمرى ، وانى لأقرأ على وجهك الساعة أنك على بينة منه ، ومن اليسير على أن أدرك أن ثمة دافع لايقهر قد منعك من مصـــارحتى بتلك الحقيقة · لابد أن أسرتك على معرفة بأسرتى وربما لا تقصدين من محاولة قتلى الآن بالســـم الانتقـام منى ، بل الانتقام من أمى ، من يدرى ؟

دونا لوكريزيا : أمك ياجينارو ! لعلك تراها على غير حقيقتها · ما قولك ان هى لم تكن سوى امرأة باغيه على شاكلتى ؟

جينارو : لاتفترى عليها · كلا ، فليست أمى بامرأة على شاكلتك أيتها السيدة لوكريزيا ! ويحى ! اننى لأشعر بها فى فؤادى وأتمثلها فى خاطرى على حقيقتها · اننى أحمل صورتها منذ خرجت الى الدنيا ، وما كنت لأحبها بهذا القدر لو لم تكن جديرة بى · ان قلب الأبن لايخطىء الحكم على شخص أمه ، ولو كان لدى أدنى شك فى أنها تشبهك لكرهتها · كلا ، ان ثمة هاتف فى أعماقى يهتف بأن أمى ليست من أبالسة الزنى بذوى القربى أو قتـل الناس بالســـم كأمثالك من حسان العصر ـ رباه ! اننى أومن بهذا كل الايمان ، فلئن كانت تحت القبة الزرقاء ثمة امرأة بريئة ، امرأة فاضلة ، امرأة تقية فهى أمى ! انها لكذلك ولاشىء غير ذلك · انك تعرفينها بلا شك أيتها السيدة لوكريزيا ، ولن تكذبيننى فيما أقول أبدا !

دونا لوكريزيا : كلا ، اننى لا أعرف هذه المرأة أو هذه الأم ياجينارو ·

جينارو : ولكن ، ليت شعرى ! الى من أسوق مثل هذا الحديث ؟ وماذا يعنيك من أفراح الأمومة وأتراحها ؟ انك ـ على مايقال ـ لم تنجبى ولعلك بهذا سعيدة قريرة العين ، فلو كان لك أبناء لما كان لهم الا أن يبرءوا منك وينكروك ياسيدتى · فما من شقى نبذته السماء يرغب فى مثل هذه الأم أو يتمنى أن يكون ابن لوكريس بورجيا ، وأن يناديها بقوله : يا أمى ! أواه !

دونا لوكريزيا : على رسلك ياجينارو ! انك مسموم ، وقد يعود الذوق ـ وهو يحسبك ميتا ـ بين آونة وأخرى · ما كان على الا أن أفكر فى

نجاتك ، وأن أهيىء لك سبيل الهرب ، لكنك تردد أمامى عبارات ـ بالغة الفظاعة ، فلا أملك لدى سماعها الا أن أجمد فى مكانى مشدوهة مذعورة ٠

جينارو : سيدتى ٠٠٠

دونا لوكريزيا : كفى ، لابد أن نضع لهذا الموقف حدا ٠ لك أن تغلظ لى القول وأن تسمقنى تحت وطأة زرايتك ، ولكن لاتنسى أنك مسموم، وعليك أن تتجرع هذا الترياق فورا ٠

جينارو : ترى من أصدق ياسيدتى ؟ لامراء فى أن الدوق يضمر لى الوفاء لأننى أنقذت أباه ، أما أنت فقد أهنتك ، وفى ذلك مايدعوك الى الانتقام منى ٠

دونا لوكريزيا : أترى أننى أنتقم منك ياجنيارو ؟ ألا اننى أبذل حياتى بأسرها لأطيل من حياتك ساعة ، واننى لأريق كل دمى حتى لاتذرف من عينك دمعة ، وأقتعد الأشواك كيما أجلسك على عرش ، وأرضى بعذاب السعير فداء لأوهى مسراتك ، دون ثمة تردد أو تذمر ؛ سعيدة ناعمة البال بتقبيل قدميك ياعزيزى جينارو ! أواه ؟ لن تعرف شيئا عن فؤادى الكسير سوى أنك تملأ شغافه ! أى جينارو ، ان الدقائق تمضى والسم يسرى فى عروقك ، وعما قليل ستحس به وبعدها يحم قضاؤك ٠ ان الحياة تفتح أمامك فى هذه الآونة سبيلين مظلمين ، بيد أن سلوك أحدهما يستغرق منك دقائق تقل عددا عما يستغرقه سلوك الآخر من سنين ، ومن ثم يتعين عليك أن تقرر أى السبيلين تسلك ٠ الاختيار رهيب ، فدع لى أمر توجيهك رحمة بى وبنفسك يا جينارو ٠ اشرب بسرعة ناشدتك الله ٠

جينارو : ليس فى ذلك من بأس ٠ واذا كان فى الأمر ثمة جريمة فوزرها واقع على أم رأسك ٠ ومهما يكن من أمر ، وسواء كنت صادقة فيما ذكرت أم كاذبة ، فان حياتى لا تساوى عناء هذا الجدل الطويل ٠ هات ٠

(يتناول القنينة ويشرب)

دونا لوكريزيا : لقد نجوت ! والآن عليك أن تنطلق الى فينيسيا بكل ما أوتى جوادك من سرعة ٠

أمعك نقود ؟

جينارو : أجل ، معى ٠

دونا لوكريزيا : ان الدوق يحسبك فى عداد الموتى ، ولذا سيكون من اليسير اخفاء فرارك ٠ انتظر ! احتفظ بهذه القنينة وأحملها دائما معك ، ففى مثل هذه الأيام التى نعيشها الآن ينبغى أن نتوقع السم فى كل وجبة ، ولاسيما أنت ، فأنت عرضة لهذه الميتة ، والآن اذهب بسرعة ٠

(تقوده الى الباب وتفتحه الى منتصفه)

اهبط على هذ االسلم ، وهو يؤدى بك الى أحد أفنية قصر نيجرونى ومن هناك سيسهل عليك الفرار لاتنتظر حتى صباح الغد، لا تنتظر حتى غروب الشمس ، لا تنتظر ساعة أخرى ، بل لا تنتظر نصف الساعة ! ارحل من فـرار على الفـور ، ارحـل عن فرار كما لو كانت ســـودوم تحترق ، واياك أن تنظر خلفك ! وداعا ! انتظر لحظة أخرى ٠ عندى كلمة أخيرة أود أن أقولها لك يا عزيزى جينارو !

جينارو : تحدثى يا سيدتى ٠

دونا لوكريزيا : دعنى أودعك الآن يا جينارو على ألا أراك اطلاقا بعد اليوم، فلا ينبغى أن أفكر قط فى مصادفتك يوما فى طريقى ٠ لقد كان لقائى بك هو سعادتى الوحيدة فى هذا العالم الا أنه يعرضك للموت٠ ها نحن أولاء ــ ويا للأسف ــ نفترق فى الحياة الدنيا الى الأبد ، وانى لواثقة كل الثقة بأننا لن نلتقى فى الآخرة أيضا ٠ أى جينارو ألا من كلمة طيبة أسمعها منك قبل أن تفارقنى الى الأبد ؟

جينارو : (غاض البصر) سيدتى ٠٠٠

دونا لوكريزيا : لقد أنقذت حياتك على كل حال !

جينارو : انك تزعمين ذلك ، الا أن كل ماذكرت حافل بالشك والغموض ، مما يجعلنى فى حيرة من أمرى ٠ اسمعى ياسيدتى ، فى وسعى أن أغفر لك كل شىء ، ماخلا أمرا واحدا ٠

دونا لوكريزيا : وما هو ؟

جينارو : اقسمى أمامى بكل ما هو عزيز لديك ، اقسمى برأسى بما أنك تحبينني ، اقسمى بخلاص نفسى الى الأبد ، أن آثامك لا دخل لها فيما حاق بامى من تعس وبلاء ٠

دونا لوكريزيا : لقد آليت على نفسى أن أصدقك القول ياجينارو ، ومن ثم لا أستطيع أن أقسم لك على ذلك ٠

جينارو : أماه ! ها هى ذى المرأة الرهيبة التى نسجت خيوط شقائك !

دونا لوكريزيا : جينارو !

جينارو : لقد اعترفت بلسانك يا سيدتى ٠ وداعا ! عليك لعنات الله ٠

دونا لوكريزيا : وعليك بركاته ياجينارو !

(ينصرف جينارو ، وتخر دونا لوكريزيا على المقعد مغشيا عليها)

القسم الثانى

ساحة مدينة فرار · يرى قصر الامارة فى طرف وبيت جينارو فى الطرف الآخر وقد جن الليل ·

المشــهد الأول

دون ألفونس وروستيجللو متشحان بالمعاطف

روسيتجللو : نعم يامولاى · هذا ما حدث · لقد بعثت فيه الحياة بشراب لا أعرف كنهه ثم هيأت له سبيل الهرب عبر فناء قصر نيجرونى ·

دون ألفونس : وسمحت بهذا ؟

روسيتجللو : وكيف لى أن أحول دونه ؟ لقد أوصد الباب بالمزلاج ومن ثم صرت حبيسا ·

دون ألفونس : كان عليك أن تحطم الباب ·

روسيتجللو : أحطم بابا من خشب البلوط ومزلاجا من الحديد ؟ ما أيسره من أمر !

دون ألفونس : لا شأن لى بهذا كله ! كان عليك أن تحطم المزلاج ثم تدخل فتقتله ·

روسيتجللو : أولا ، لو أننى استطعت أن أقتحم الباب لكان من المرجح أن تحميه سيدتى كولريزيا بجسدها ، وعند ذاك أجدنى مضطرا الى قتلها هى الأخرى !

دون ألفونس : حسنا ! وماذا ؟

روسيتجللو : لم أتلق منك أمرا بقتلها ·

دون ألفونس : ان الخادم اللماح – ياروســيتجللو – هو الذى يدرك ما ينشده أميره دون أن يكبده عناء البيان ·

روسيتجللو : هذا الى أننى خشيت أن أزج بك يامولاى فى صراع مع البابا·

دون ألفونس : يالك من غبى !

روسيتجللو : كان من الحرج بمكان أن أقتل ابنة الأب المقدس ·

دون ألفونس : حسنا · أما كان فى مقدورك – دون لجوء الى قتلها – أن تصيح وتنادى وتخطرنى ، وبهذا تحول بين العشيق وبين الهرب؟

روسيتجللو : نعم · وفى الغد تتصــالح يامولاى مع ســيدتى لوكريزيا ، وبعد غد تأمر السيدة لوكريزيا بدق عنقى ·

دون ألفونس : كفى · لقد ذكرت لى أننا لم نخسر الجولة بعد ·

روسيتجللو : نعم · لعلك ترى ضوءا يتسرب من هذه النافذة ، وعليه فان جينارو لم يرحل بعد · ان تابعه الذى كسبته الأميرة الى صفها بالأمس قد اشتريته اليوم وصارحنى بكل شىء · انه الآن فى انتظار سيدة خلف القلعة ومعه جوادان مجهزان ، وسوف ينصرف جينارو عما قليل فيلحق به ·

دون ألفونس : ان كان الأمر كذلك ، فهيا بنا نتوارى خلف زاوية بيته ، فاذا مر قتلناه فى جنح الظلام ·

روسيتجللو : لك ما تشاء ·

دون ألفونس : أحسامك متين ؟

روسيتجللو : نعــم ·

دون ألفونس : أمعك خنجر ؟

روسيتجللو : هنا شيئين يامولاى يتعذر عليك أن تلقاهما تحت الشمس ايطالى بلا خنجر وايطالية بلا عشيق ·

دون ألفونس : حسنا · فلتضربن بكلتا يديك ·

روسيتجللو : سيدى الدوق ، لم لا تكتفى بألقاء القبض عليه ثم تأمر باعدامه بناء على قضاء الامارة

دون ألفونس : انه من رعايا فينيسـيا · وهذا يعني اعـلان الحرب على الجمهورية · حسبه طعنة خنجر لايدرى أحد من أين سـددت ، ولا تعرضنا للمخاطرة ، كان السم ولاشك وسيلة أفضـل ، لكنه أفلت منه ·

روسيتجللو : أتحب اذن يامولاى أن استقدم أربعة من العسس يجهزون عليه ، وهذا يكفيك مؤونة اقحام نفسك فى هذا الحديث ؟

دون ألفونس : كثيرا ماذكر لى السـيد مكيافيلى يا عزيزى أن من الخير للأمراء فى مثل هذه الظروف أن يتولوا أمورهم بأنفسهم ·

روسيتجللو : أسمع وقع أقدام يا مولاى ·

دون ألفونس : لنقف بحذاء هذا الجدار ·

(يختبئان فى جنح الظلام تحت الشرفة ـ يظهر مافيو مرتديا كسوة الحفلات قادما وهو يدندن ، ويطرق باب جينارو) ·

المشـهد الثانى

دون ألفونس وروسيتجللو (مختبئين) ـ مافيو ـ جينارو

مافيو : جينارو ! (ينفرج الباب ويظهر جينارو)

جينارو : أهذا أنت يامافيو ـ أدخل ·

مافيو : لا ، عندى كلمتان أود أن أسربهما اليك · أحقا لن تأتى معنـا للعشاء هذا المساء على مائدة الأميرة نيجرونى ؟

جينارو : لست مدعوا الى هذه المأدبة ·

مافيو : سوف أقدمك ·

جينارو : هناك سبب آخر ينبغى أن أنبئك به · انى مسافر ·

مافيو : مسافر ؟ وكيف كان ذلك ؟

جينارو : مسافر بعد ربع الساعة ·

مافيو : ولماذا ؟

جينارو : سأجلو لك الأمر فى فينيسيا ·

مافيو : تراها مسألة حب ؟

جينارو : نعم · انها مسألة حب ·

مافيو : انك تسىء التصرف يا جينارو · لقد تعاهدنا على ألا يترك أحدنا صاحبـــه · تعاهدنا على أن نكون أخوين لايفترقان أبدا ، ولكننى أراك تسافر وحدك ·

جينارو : تعال معى !

مافيو : بل تعال أنت معى ، فمن الأفضل أن نقضى ليلتنا على مأدبة عشاء بصحبة غيد حسان ومدعوين ظرفاء ، بدلا من قضائهـــا بين قطاع الطرق والأخوار ·

جينارو : لم تكن فى الصباح مطمئنـــا غاية الطمأنينـــة الى صاحبتك ، الأميرة نيجرونى ·

مافيو : لقد استخبرت عنها فوجدت أن جيبو قد أصــــاب فيما قال ، انها امرأة فاتنة مرحة تهوى الموسيقى والشعر ، لا أكثر ولا أقل ، هيا · تعال معى ·

جينارو : لا أستطيع ·

مافيو : كيف ترحل هكذا فى دجى الليل ؟ اننى أخشى عليك من القتل ·

جينارو : اطمئن بالا ! وداعا ! أرجو لك فيضا من السعادة والمتعة ·

مافيو : أخى جينارو · انى أتوجس خيفة عليك من هذه الرحلة ·

جينارو : أخى مافيو ، وأنا بدورى أتوجس خيفة عليك من هذه المأدبة ·

مافيو : قد يصيبك مكروه ولا أكون بجوارك ·

جينارو : وقد ألوم نفسى فى غد على تركك هذا المساء · من يدرى ؟

مافيو : لنعقد العزم على ألا نفترق ، ولينزل كل منا بعض الشىء على رأى صاحبه ، فتأتى معى هذا المساء الى مأدبة الأميرة نيجرونى ، على أن نرحل سويا فى الغد مع تباشير الصباح · أموافق أنت ؟

جينارو : دعنى أسرد عليك يا مافيو مادفعنى الى هذا الرحيل المفاجىء ، وسوف ترى أننى على حق ·

(ينفرد بمافيو ويسر فى أذنه كلاما)

روسيتجللو : (فى أسفل الشرفة يحدث دون ألفونس بصوت خافت)
أأنقض عليه يامولاى ؟

دون ألفونس : (بصوت خفيض لنرى حتى نهاية المشهد) ٠

مافيو : (ينفجر ضاحكا بعد سماع حديث جينارو) أتريد رأيى ياجينارو؟
لقد غرر بك ، فليس فى هذه المغامرة ثمة سم أو ترياق ، وما هى الا فاصل هزلى لا أكثر ولا أقل ، ان السيدة لوكريزيا متيمة بحبك وتود أن تدخل فى روعك أنها أنقذت حياتك ، ولعلها تأمل من وراء ذلك أن تنزلق بلطف من مشاعر عرفانك بجميلها الى اسار حبها ٠ ان الدوق رجل ساذج طيب القلب ، لايجـــرؤ على دس الســم أو الاغتيال ٠ هذا الى أنك انقذت أباه وهو عليم بذلك ٠ أما الدوقة فهى تريد رحيلك ، وفى ذلك مصلحتها الكبرى ، فلا مراء فى أن غرامها بك سيجد فى فينيسيا مرتعا أشد خصوبة مما فى فرار ، لأن زوجها لاينى هاهنا عن مضايقتها بعض الشىء ، أما عن عشاء الأميرة نيجرونى فسوف تجده شــهيا ٠ يا للشيطان ! قمين بالمرء مهما كانت الظروف والأحوال ألا يشتط فى حكمه وأن يزن الأمور بميزان العقل ٠ انك تعلم أن الحذر من شيمتى كما أننى أصدق النصح ، ولئن حدث أن دس آل بورجيا السم لبعض خلصائهم مرة أو مرتين ، فليس هذا بمبرر يجعلنا نرفض الدعوة الى الولائم على الاطلاق ، أو أن نتوقع دائمــا السم الزعاف فى نبيذ ســيراكيوز العجيب ، أو أن نتصور لوكريس بورجيا وراء تصرفات ســائر أميرات ايطاليا الحســان ٠ الا أن ما تزعمه لهو ضرب من الهذيان والخيال ، ولو كان الأمر كذلك لما استطاع أن يأمن على مشربه ، أو يطمئن الى مأكله ، ســوى الأطفــال الرضع ، قســما بهرقل ياجينارو ٠ اما أن تعود طفلا فترضع واما أن تأتى للعشاء معى ٠

جينارو : حقا ٠ ان فى الهرب فى جنح الليل شــيئا من الغرابة ٠ اننى أبدو كما الخائف المذعور ، ولئن كان فى البقاء ثمة خطر ، فلا ينبغى أن أترك مافيو وحيدا فى خضمه ٠ فليكن مايكون فما هى الا مغامرة كمثيلاتها من المغامرات ٠ انى موافقك ، وسأذهب معك ، وعليك أن تقدمنى الى حبيبتك الاميرة نيجرونى ٠

مافيو : (ممسكا بيد جينيارو) أقسم انك الصديق الوفى ! (ينصرفان

معا ويبتعدان من طريقهما الى نهاية الساحة. يخرج دون الفونس وروستيجللو من مخبئهما) .

روستيجللو : (مستلا سيفه) هيا ، ماذا تنتظر يا مولاى ؟ انهما اثنان ليس غير . تول الاجهاز على غريمك ، وسأفتك أنا بصاحبه !

دون الفونس : لا ياروستيجللو ! انهما ذاهبان للعشاء لدى الاميرة نيجرونى ، لو أعلم خبيئة ما يدبر ..

(يتوقف عن حديثه ويبدو حالما للحظة ، ثم ينفجر ضاحكا) .
أقسم ان فيما يدبر تحقيق الارب ، واننا سنشهد مغامرة طريفة فلننتظر الى الغد .

(يعودان الى القصر) .

الفصل الثالث

أموات سكارى

قاعة فخمة فى قصر آل ينجـــرونى · الى اليمين باب خفى ، وفى المؤخرة باب كبيـــر واسع ذو ضلفتان ، وفى الوسط مائدة رائعـة الاعداد على طريقة القرن السادس عشر ، وفى هذا الاطار يجول حجاب صفار سود يرتدون حللا من الدمقس المطرز بالذهب · ينفـــرج الستار عن مائدة الطعام وقد جلس اليها اربعة عشر مدعوا هم : جيبو ، مانيو ، اسكانيو ، أولوفرنو ، أبوستولو ، جنيارو ، جوبتيا · ثم سبع من الغيد الحسان فى أبهى حـــليهن · الرجال منكبون جميعا على الطعام والشراب ، كل يتضاحك مع رفيقته فى ضجيج وصخب ، ماخلاجنيارو ، فقد بدا شارد اللب ساهما ·

المشـــهد الأول

جيبو ــ مافيو ــ اسكانيو ــ دون أبوســتولو ــ جوبيتــا ــ جينارو ــ سيدات وحجاب ٠

اولوفرنو : (رافعا كأسه) ليحيا نبيذ اكسريزه ! لا مراء فى أن اكسريز هى احدى مدائن الجنة ٠

مافيو : (رافعا كأسه) هذا النبيذ الذى نحتسيه خير مائة مرة من قصصك التى ترويها لنا ياجيبو ٠

اسكانيو : يصاب جيبو بداء رواية القصص حين تلعب الخمر برأسه.

دون أبوستولو : لقد حدث ذلك بالأمس فى فينيسيا ، وكنا لدى سمو الدوق بارباريجو ، ترى ماذا سـيروى اليـوم ونحن فى فرار على مائدة الاميرة الملائكية نيجرونى ؟

جيبو : كانت قصة الامس مفجعة أما قصة اليوم فمبهجة .

مافيو : أتراها قصة مبهجة ياجيبو ؟ ليت شعرى ! كيف تأتى لـدون سيليكو ــ وهو فارس وسيم فى الثلاثين من عمره ــ أفنى ماورث عن ذويه فى الميسر ، أن يقترن بالمركيزة الثرية كالبورينا وهى التى سلخت من العمر ثمانية واربعين سنة . أترى فى هـذا ــ بحق باخوس ــ أمرا مبهجا ؟

جوتيتا : انه أمر محزن وشائع أن يقترن رجل مفلس بعجوز محطمة، وهذا ما نشهده كل يوم .

(يأخذ فى تناول الطعام ــ ينهض البعض من المائدة بين حين وآخر فيأتون الى مقدمة المسرح للحديث بينما الوليمة ممدودة) .

الأميرة نيجرونى : (مخاطبة مافيو وهى تشـير الى جينارو) سـيدى الكونت اورسينى ، أرى معك صديقا يخيل الى أنه حزين مهموم

مافيو : هــــذه حاله على الدوام يا ســـــيدتى ، وأرجــو أن تغفرى لى استصحابه دون أن توجهى اليه شرف دعوتك · أنه أخ فى السلاح لقد أنقذ حياتى فى حصار ريمينى ، ثم تلقيت عنـــه فى معــركة جسر فيسين طعنة سيف كانت مسددة اليــه · اننا نعيش سويا ولا نفترق أبدا ، ولقــد تنبأ أحد العرافين الغجر بأننــا ســنموت فى يوم واحد .

الأميرة نيجرونى : (ضاحكة) ألم يذكــر لكما ان كان ذلك ســـيحدث صباحا أم مساء ؟

مافيو : قال سيحدث صباحا ·

الأميرة نيجرونى : (غارقة فى الضحك) ان عرافك يهرف بما لا يعرف وهل تحب هذا الشاب حبا جما ؟

مافيو : بقدر ما يستطيع رجل أن يحب رجلا آخر .

الأميرة نيجرونى : حسنا . لعل كلا منكما يسد حاجة صـــاحبه الى العاطفة . ما أسعدكما .

مافيو : ان الصداقة لا تملأ ــ يا سيدتى ــ جميع شغاف القلب ·

الأميرة نيجرونى : ربما · وما الذى تراه يملأ شغاف القلب ؟

مافيو : الحب .

الأميرة نيجرونى : ان لفظ الحب دائما على فمك .

مافيو : أما أنت ففى عينيك .

الأميرة نيجرونى : انت عجيب !

مافيو : وانت جميلة (يطوقها بذراعه) ·

الأميرة نيجرونى : دعنى ياسيدى الكونت .

مافيو : هل لى أن أطبع على يدك قبلة .

الأميرة نيجرونى : لا · (تنسل من ساعديه) ·

جوبتيا : (مخاطبا مافيو) أراك ذا حظوة لدى الأميرة ·

مافيو : اننى لا أسمع منها على الدوام سوى كلمة لا .

جوبتيا : أن كلمة لا فى فم المراة تعنى كلمة نعم .

جيبو : (مباغتا مافيو) ما رأيك فى سيدتى الاميرة نيجرونى ؟

مافيو : انها خليقة بالعبادة ــ بينى وبينك ــ لقد بدأت تنهش نياط قلبى .

جيبو : وعشاؤها ؟

مافيو : **وليمة بمعنى الكلمة .**

جيبو : اخبرك ان الاميرة أرملة .

مافيو : **هذا ما يفصح عنه مرحها واشراقها .**

جيبو : الم تعد تتوجس خيفة من عشائها ؟

مافيو : انا ؟ وكيف ذلك ؟ لقد كنت مجنونا .

جيبو : (مخاطبا جوبيتا) أتصدق أن مافيو كان يخشى المجىء لتناول العشاء على مائدة الاميرة ؟ .

جوبيتا : يخشى ؟ ولماذا ؟

جيبو : **لأن قصر الأميرة يلاصق قصر بورجيا .**

جوبيتا : **ليذهب آل بورجيا الى الشيطان . دعنا لشرابنا .**

جيبو : (مخاطبا مافيو فى صوت خفيض) ان ما يعجبنى فيمن يدعى **بلفيرنا هو مقته لآل بورجيا .**

مافيو : **(بصوت خافت) فى الحق ما من فرصة الا بعث بهم الى الشيطان** فى منتهى الصراحة على أننى ياعزيزى جيبو .

جيبو : ماذا ؟

مافيو : اننى أرقب منذ بدء العشاء هذا الاسبانى المزعوم ، فلاحظت أنه لم يحتس حتى اللحظة سوى الماء القراح .

جيبو : أرى الهواجس تساورك مرة أخرى ياصديقى مافيو ، وغــــدا حديثك عن النبيذ مملا بشكل غريب .

مافيو : ربما كنت مصيبا فيما تقول . لقد جننت .

جوبيتا : **(عائدا الى مجلسه وهو يحملق فى مافيو من قمة رأســه الى أخمص قدميه) أو تعلم ياسيد مافيو أنك خلقت لتعيش تسعين عاما ؟ انك كثير الشبه بجد من أجدادى عاش هذا العمر ، وكان اسمه كأسمى جيل باسيليوفرنان ايرنيو فيليب فراســـكو فراسكيتو كونت دى بلفيرانا .**

جيبو : (مخاطبا مافيو بصوت خفيض) لعلك لا ترتاب بعد الآن فى كونه اسبانيا .

انه يحمل من أسماء العماد مالا يقل عن عشرين اسما ، يالها من ديباجة مملة يا سيد دى بلفيرانا .

جوبتيا : لقد اعتاد أجدادنا ـ ويا للاسف أن يمنحونا عند العمـــاد أسماء تزيد على ما ينقدوننا من دنانير عند الزواج ، ولكن ماالذى يضحكهم هناك ؟

(على حدة) لابد أن نلتمس عند السيدات ذريعة للانصراف .

ترى ما العمل ؟

(يعود فيجلس الى المائدة)

أولوفرنو : (وهو يعب كأسه) قسما بهرقل يا سادتى · ماقضيت فى حياتى سهرة ممتعة كسهرتنا هذه .. تذوقن ياسيداتى من هذا النبيذ ، فهو أحلى من نبيذ لاكريما كريستى ، واحر من النبيذ القبرصى ، هذا نبيذ سيراكيور أيها السادة .

جوبتيا : (ملتهما طعامه) يخيل الى أنالخمر قد لعبت برأس أولوفرنو

أولوفرنو : أرى لزاما على يا سيداتى أن أسمعكن بعض أبيات من الغزل نظمتها الآن .

ليتنى أوتيت مزيدا من الشاعرية حتى أستطيع الاشادة بمثل هذه الوليمة .

جوبتيا : أما عن نفسى ، فليتنى أوتيت مزيدا من الثراء حتى استطيع دعوة الاصدقاء الى مثل هذه الوليمة .

أولوفرنو : ما من شىء أحلى من التغنى بامرأة جملية وأكلة شهية !

جوبتيا : اللهم الا عناق الاولى والتهام الثانية !

أولوفرنو : نعم نعم . ليتنى كنت شاعرا حتى أحلق فى السماء . ليت لى جناحين ··

جوبتيا : هذا الديك البرى الذى يملأ صحنى .

أولوفرنو : سأسمعكم قصيدتى على أية حال .

جوبيتا : على رسلك ياسيدى المركيز أولوفرنو فينيللوزو ، انى انهاك بحق الشيطان عن اسماعنا قصيدتك ودعنا لشرابنا !

أولوفرنو : أتنهاني عن اسماعكم قصيدتي ؟

جوبتيا : مثلما أنهى الكلاب عن عضي والبابا عن مباركتي والمارة عن قذفي بالحجارة ··

أولوفرنو : بعزة الله ! انك تشتمني أيها الاسباني القصير الحقير ·

جوبتيا : انني لا اشتمك أيها العملاق الايطالي العظيم ، بل ارفض فقط أن أعير قصيدتك اى انتباه لا أكثر ولا أقل ان حلقي لاكثر شوقا للنبيذ القبرصي من أذني لسماع القريض ·

أولوفرنو : سأصلب أذنيك ايها القسطلاني البالي على كعبي حذائي .

جوبتيا : انت غر سفيه ، ارأيتم من قبل مثل هذا الغبي الاخرق ؟ يجرؤ على احتساء نبيذ سيراكيوز ، وهو الذى يبدو عليه السكر اذا عب قدحا من الجعة .

أولوفرنو : بحق الله ! سأقطعن جسدك الى ارباع .

جوبتيا : (وهو يقطع الديك) لن أعاملك بالمثل ، فانني لا اقطع طيورا ضخمة على شاكلتك أيتها السيدات ، أترون أن أقدم اليكن قطعة من لحم هذا الديك البرى ؟

أولوفرنو : (منقضا على السكين) والله لأبقرن بطن هذا المأفون ولو كان أعلى من الامبراطور قدرا .

السيدات : (ناهضات من حول المائدة) يا للسماء ! سوف يتقاتلان !

الرجال : هدىء من روعك يا أولوفرنو !

(يتكاثرون عليه وينتزعون منه السكين ، وكان يريد أن ينقض به على جوبتيا ، وعند ذاك تختفى النسوة من الباب الجانبى).

أولوفرنو : (مقاوما) بجلال الله ·

جوبتيا : اراك غزير النظم فى قافيه الله ياعزيزى الشاعر مما حمل النسوة على الفرار · يالك من أخرق مغرور !

جيبو : هذا صحيح . ترى ماذا دهاهن بحق الشيطان ؟

مافيو : لقد استبد بهن الخوف . فحين يلمع نصل السكين تفر المرأة.

اسكانيو : تبا لك . سوف يعدن .

أولوفرنو : سألقاك فى الغد يا صغيرى بلفيرانا ياربيب الشيطان !

جوبتيا : غدا كما يروق لك .

(يعود أولوفرنو الى مقعده وهو يترنح من فرط الغيظ فينفجر جوتيتا ضاحكا) ما أشد غباءه يحمل أجمل نساء فرار على الفرار ملوحا بسكين ملفوف فى قصيدة غزل ، وتثور ثائرته من أجل القريض ! انى على يقين بأنه ذو جناحين ، فما هو بانسان بل هو فرخ صغير ، ولا شك عندى فى أن المدعو ، أولوفرنو يعشش على الشجر ، وينام واقفا على رجل واحدة .

جيبو : مهلا ، مهلا ، هدئا من روعكما ، فسوف يتسنى لكل منكما أن يطيح برأس صاحبه برجولة وشهامة فى صباح الغد ، وحسبكما انكما ستتقاتلان بالسيوف شأن النبلاء وليس بالمدى .

اسكانيو : وبهذا الصدد ماذا فعلنا بسيوفنا ؟ .

دون أبوستولو : أنسيت أنهم طلبوا الينا تركها فى الغرفة المجاورة .

جوبتيا : وكانت حيطة فى محلها ، ولولا هذا لتقاتلنا امام النساء مما تحمر له وجوه أهل الفلاندر فوق احمرارها نشوة التبغ !

جينارو : حقا انها حيطة فى محلها .

مافيو : ما أعجب امرك يا أخى جينارو . هذه اول عبارة تنطق بها منذ بدأنا العشاء دون أن تشاركنا الشراب . تراك تفكر فى لوكريس بورجيا ؟ لقد تولهت بها بلا نزاع يا جنيارو . لا تحاول الانكار .

جينارو : املأ كأسى يامافيو . فما تخلفت يوما عن الصخب فى مجلس الطعام والشراب الا لتلبية نداء الحرب .

(حاجب اسود يحمل فى يديه قنينتين) .

أتريدون ياسادتى نبيذ قبرصى أم نبيذ سيراكيوز ؟

مافيو : نريد نبيذ سيراكيوز فهو خير الانبذة .

(يملأ الحاجب الاسود الكئوس جميعا)

جيبو : ألا سحقا لاولوفرنو . ترى هل تعود الحسناوات ؟

(يتجه الى الأبواب واحدا تلو الآخر) ان الأبواب مغلقة من الخارج يا سادة !

مافيو : لا تنزعج بدورك يا جيبو . هن لا يرون أن نتعقبهن ، هذا هو كل ما فى الامر .

جوبتيا : الى الخمر يا سادة (تتقارع الكئوس)

مافيو : فى صحتك ياجينارو . وليلتئم شملك فى القريب بأمك .

جينارو : ليستجب المولى لدعائك .

(يشرب الجميع ما خلا جوبتيا ، فقد سكب الكأس من وراء كتفه)

مافيو : (مخاطبا جيبو فى صوت خافت) لقد تبينت الخديعة ياجيبو.

جيبو : (بصوت حفيض) ماذا ؟

مافيو : لم يشرب الاسبانى كأسه .

جيبو : حسنا ، وبعد ؟

مافيو : لقد سكب النبيذ وراء كتفه .

جيبو : لعل الخمر قد لعب برأسه وبرأسك أيضا .

مافيو : هذا جائز .

جوبيتا : انشودة السكارى ياسادة ، سأنشدكم انشودة السكارى فهى خير الف مرة من قصيدة المركيز أولوفرنو . أقسم لكم برأسى أبى اننى لست ناظمها ، فما أنا بشاعر ، وليس لى تلك القريحة النيرة فى نظم القوافى فى ختام الافكار .

هاكم انشودتى ، انها موجهة الى السيد القديس بطرس حارس باب الجنة الشهير ، وهو تعبير عن فكرة لطيفة ؛ تقول بأن سماء الله ملك للسكارى !

جيبو : (بصوت خافت الى مافيو) لقد أفرط فى الشراب .

الجميع : (هاتفين ما خلا جينارو) الانشودة . الأنشودة ..

جوبيتا : (منشدا) افتح الباب أيها القديس بطرس

للسكير الذى أتاك بصوته

الجهورى منشدا .. الله ، الله !

الجميع : (مرددين ما عدا جينارو) **المجد لله**)

جوبتيا : للسكير المنشد المطروب

الذى أتاك ببطنه العظيم

حتى ليشك من يراه حين دخوله

أهو انسان أم برميل

الجميع : (مرددين ما عدا جينارو) المجد لله !

(يتقارعون الكئوس وهم يضحكون ملء أفواههم، وفجأة يسمعون أصوات بعيدة ترتل لحنا حزينا)

أصوات من الخارج : «اسمه قدوس رهيب · رأس الحكمة مخافة الله»

جيبو : (غارقا فى الضحك) أنصتوا يا سادة ، بينما نتغنى بأنشودة السكارى يردد الصدى صلاة الغروب ·

الجميع : صه ···

(أصوات من الخارج تدنو رويدا وتردد « ان لم يحرس الرب المدينة فباطلا يسهر الحراس » ـ يضج الجميع بالضحك) ·

جيبو : انها تراتيل كنسية أصيلة ·

مافيو : لعلها جنازة تمر ·

جينارو : جنازة فى منتصف الليل ؟ لقد تأخر بها الوقت ·

جيبو : تبا لك ! واصل انشادك يا سيدى بلفيرانا ·

(أصوات من الخارج تزيد اقترابا وتردد « لها عيون ولا تبصر ، لها آذان ولا تسمع ، لها أنف ولا تشم » · تشتد عاصفة الضحك **بين الجميع**) ·

جيبو : ما أشد عجيج هؤلاء الرهبان !

مافيو : أرأيت يا جينارو ؟ ان نور المصابيح يخبو من حولنا ، وعما قليل سنغدو فى ظلام دامس ·

(تشحب المصابيح كأنما فرغ زيتها ـ أصوات من الخارج تشتد اقترابا وتردد) ·

« لها يد ولا تلمس ، لها أرجل ولا تمشى ، ولا تصوت بحناجرها »

جينارو : يخيل الى أن الأصوات تدنو منا ·

جيبو : كأننى بالموكب يمر فى هذه اللحظة تحت النوافذ ٠

مافيو : ان ما نسمع هو صلاة الموتى ٠

اسكانيو : بل هى مراسم الدفن ٠

جيبو : لنشرب فى صحة من يوارونه التراب ٠

جوبيتا : من أدراكم ؟ ربما كانوا كثارا ٠

جيبو : حسنا ٠ لنشرب فى صحتهم جميعا ٠

أبو ستولو : (مخاطبا جوبيتا) مرحا ، مرحا لنواصل ابتهالاتنا الى القديس بطرس !

جوبيتا : تحدث عنه بمزيد من الأدب ، وقل الى السيد القديس بطرس حارس باب الجنة الموقر ٠ (منشدا) ٠

ان كان للقديس ما لذ وطاب

فالسماء ملك للسكارى الذين

لا هم لهم الا الشراب على الأنغام

الجميع : (مرددين) الا الشراب على الأنغام ٠

جوبيتا : ان كان نهر الكوثر ، الذى يغمر

ساحتك ، من نبيذ اسبانيا

فحولنا الى أسماك

الجميع : (وهم يتقارعون الكئوس بين رنين الضحكات) فحولنا الى أسماك !

(ينفتح باب المؤخرة وئيدا على مصراعيه ، فتظهر من خلفه قاعة فسيحة مجللة بالسواد تضيئها المشاعل ، وفى صدرها صليب كبير من الفضة ، يدلف من الباب الكبير حشد طويل من تلامذة الدير بين سود وبيض ، لا يستبين الرائى من خلال ثقوب بردهم سوى العيون ، يحملون على رؤوسهم الصليب ، وفى أيديهم المشاعل ٠

ويرتلون فى صوت جهورى ونبرات حزينة ٠

« من الأعماق صرخت اليك يا رب »

ثم يصطفون فى صمت على جانبى القاعة ، ويظلون هكذا بلا حراك كالأصنام ، بينما يتطلع اليهم النبلاء الشبان فى فزع وذعر)

مافيو : ما معنى هذا ؟

جيبو : (متظاهرا بالمرح) مجرد دعابة ! انى أراهن بجوادى فى مقابل خنزير ، وبلقب أسرتى دى ليفيرتو فى مقابــل لقب بورجيا ، على أن رفيقاتنا الحسان قد تنكرن فى هذا الزى كيما يعجمن عودنا ٠

ولئن أزحنا عفوا احدى هذه البرد لرأينا من تحتهــا وجه حسناء مكير نضير ، سوف أريك ٠

(يتقدم ، فيرفع احدى القلنسوات ، فيجمد فى مكانه ٠ فقد رأى من تحتها وجه راهب عبوس ٠ يقف ساكنا مسبل العينين حاملا مشعله ٠ تسقط القلنسوة من يد جيبو ويتراجع الى الوراء) لقد بدأ الموقف يبدو غريبا ٠

مافيو : لا أدرى لم تجمد الدم فى عروقى !

تلاميذ الدير : (يرتلون فى صوت مدو) «هز الرؤوس فى أرض الكثيرين»

جيبو : ياله من شرك رهيب ! أين سيوفنا ؟ أين سيوفنا ؟ أواه ! لقد عرفت يا سادة : نحن الآن فى عرين الشيطان ٠

المشــهد الثانى

نفس الأشخاص ـ دونا لوكريزيا

دونا لوكريزيا : (تظهر بغتة على عتبة الباب متشحة بالسواد) أنتم هنا هنا فى بيتى !

الجميع : (ماخلا جينارو ــ وكان يشهد ما يدور فى ركن من أركان المسرح ، فغشيت عنه عينا لوكريزيا) لوكريس بورجيا ؟

دونا لوكريزيا : منذ أيام كنتم جميعا ــ نفس الحاضرين هنا ــ ترددن هذا الاسم فى نشوة النصر ، أما اليوم فتذكرونه بفزع وهول . أجل ، قمين بكم أن تتطلعوا الى بأعين جامدة من فرط الرعب . أنا لوكريس بورجيا بعينها أيها السادة ، أتيت لأنبئكم بخبر . أنتم مسمومون أيها النبلاء . وليس فيكم من بقيت من حياته ساعة واحدة . لا تتحركوا من أماكنكم ، فان القاعة المجاورة غاصة بالجند من حملة الحراب . والآن ، حان دورى كى أرفع صوتى ، وأسحق رؤوسكم تحت كعب حذائى ! هيا ، ياجيو ليفيريتو لتلحق بعمك فيتللى من أمرت بالاجهاز عليه بطعنة خنجر فى أقبية الفاتيكان . واذهب أنت يا اسكانيو بتروتش للقاء ابن عمك باندولو الذى صرعته لأسلبه مدينته ! وأنت يا أولوفرنو فيتللوزو، إن ابن عمك فى انتظارك . فلا شك أنك تعرف حق المعرفة ياجودابيانى من قتلته بالسم فى احدى الولائم . وأنت يامافيو أورسينى ، امض فتحدث عنى فى العالم الآخر مع أخيك دى جرافينا من قضيت عليه وهو يغط فى سباته ! أما أنت يا أبو ستولو جازيللا فقد أطحت برأس أبيك فرانسسكو جازيللا ، وذبحت ابن عمك الفونس داراجون فاذهب لتلحق بهما ! أشهد أنكم أقمتم لى حفلا راقصا فى فينيسيا . وهأنذا أرده حفل عشاء فى فرار ، حفلا لقاء حفل أيها النبلاء .

جيبو : يالها من صحوة قاسية يا مافيو !

مافيو : لنلتمس رحمة الله

دونا لوكريزيا : ويحكم أيها الشباب ! أصدقاء الكرنفال الأخير ! أما كنتم تتوقعون هذه الخاتمة ؟ يالله ! يخيل الى أننى أنتقم ، فما قولكم أيها السادة ؟ من منكم يبزنى فى هذا المضمار ؟ أرى أنه أسلوب لا ضير فيه بالنسبة لامرأة ! ما قولكم فيه ؟

(مخاطبة الرهبـان) أيها الآباء ، قودوا هؤلاء السـادة الى القاعة المجاورة وهى معدة ، تلقوا اعترافاتهم ، واغتنموا ما بقيت لهم من لحظات أخيرة ، لتنقذوا فى كل ما يستطاع انقاذه • أيها السادة ، من كانت له روح فليتفكر فيما ينبغى لها ، ولتطمئنوا بالا ، فان أرواحكم بين أيد أمينة ، فهـؤلاء الآباء الموقرون ، هم رهبـان القديس سيفيت ، ولقد أذن لهم البابا ـ أبونا المقدس ـ بمعاونتى فى مثل هذه الأحوال • وكما عنيت بأرواحكم فقد عنيت كذلك بأمر أجسادكم • انظروا •

(مخاطبة الرهبان الذين يقفون أمام باب المؤخرة)

ـ أفسحو الرهبان أيها الآباء حتى أرى هؤلاء السادة •

(يتفرق الرهبان فتظهر خمسة توابيت ، مغطاة بالجوخ الاسود ، مصوفة أمام الباب)

ـ العدد كاف ، فلدينا توابيت خمسة ، تبا لكم أيها الشبان ! أتنتزعون أحشاء امرأة شـقية ولا تظنونهـا تنتقم ! هذا تابوتك ياجيبو وذاك تابوتك يا مافيـو ، أولوفونو ، اسـكانيو ؛ هذه توابيتكم •

جينارو : (يتقدم خطوة بعد ما ظل حتى اللحظة بعيدا عن أنظار لوكريزيا). لابد من تابوت سادس يا سيدتى !

دونا لوكريزيا : يا للسماء ! جينارو !

جينارو : هو بعينه •

دونا لوكريزيا : انصرفوا من هنا جميعا ودعونا وحدنا ـ جوبيتا ، آمرك ألا يدخل علينا أحد مهما حدث ، ومهما بلغ أسماعكم فى الخارج مما يجرى هنا !

جوبيتا : كفى !

(يخرج موكب الرهبان وقد سار بين صفوفه النبلاء الخمسة فى ترنح وذهول)

المشـــهد الثالث

جينارو ــ دونا لوكريزيا

القاعة موصدة الأبواب ، يكاد ضوؤها لا يعدو بضع مصابيح ذاوية ــ دونا لوكريزيـا وجينارو وحدهما ، يتطلع كل منهما الى الآخر في صمت ، كأنما لا يـــدرى من أين يبدأ حديثه ٠

دونا لوكريزيا : (محدثة نفسها) انه جينارو !

ترتيل الرهبان : (في الخارج) « ان لم يشـــيد الرب بيتي فلا جدوى ممن يعملون على تشييده » ٠

دونا لوكريزيا : ماذا أرى ؟ جينارو مرة أخرى ! دائما أنت تحت وطأة ما أسدد من ضربات ! برب السماء ! ماذا أقحمك في هذا المجال ؟

جينارو : كنت في ريب من كل ما يجرى ٠

دونا لوكريزيا : لقد تجرعت السم مرة أخرى ، ومن ثم ستموت !

جينارو : لو أردت ــ ان لدى الترياق ٠

دونا لوكريزيا : آه ، نعم ٠ حمدا لله !

جينارو : سؤال يا سيدتي بما أنك خبيرة بهذه الأمور ٠ أفي هذه القنينة من الترياق ما يفي بنجاة النبـــلاء الذين أودى بهم رهبانك الى المقبرة ؟

دونا لوكريزيا : (تفحص القنينة) يكاد ما فيها يكفيك وحدك يا جينارو ٠

جينارو : أما في استطاعتك أن تدبرى على الفور قنينة أخرى ؟

دونا لوكريزيا : لقد أعطيتك كل ما عندى ٠

جينارو : حسنا !

دونا لوكريزيا : أى جينـــارو ، ماذا تنتظر ؟ أسرع · لاتله باللعبـــة الخطيرة · عجل تناول الترياق · تجرعه بحق السماء ! رباه ! لقد أتيت فعلة حمقاء ! أنج بنفسك · سأخرجك من القصر من باب خفى أعرف موضـــعه ، ومازال فى المقدور اصـــلاح ما فســـد · لقد أقبل الليل · ستعد لك الجياد عما قليل ، وغدا فى الصباح تكون بمنأى عن فرار · ألم يجر فيها من الاحـــداث ما روعك ؟ اشرب الترياق ثم أنصرف · لابد أن تعيش ! لابد من انقاذك !

جينارو : (يتناول مدية من فوق المنضدة) وهذا يعنى موتك !

دونا لوكريزيا : كيف ؟ ماذا تقول ؟

جينارو : أقول انك دسست السم فى غدر ونذالة لخمسة من النبلاء هم من رفاقى بـــل هم خيرة الرفاق ، بينهم أخى فى الســـلاح مافيـــو أورسينى ، أنقذ حياتى فى واقعة فيسين ، ومن أشاطره ما يلحق به من أذى وما يقدم عليه من انتقام ، أقول انك قد أتيت أمرا نكرا ، وحق على الثأر لمافيو ولسائر الرفاق ، وهذا معناه قتلك !

دونا لوكريزيا : يا للسموات والأرض !

جينارو : أدى صلاتك يا سيدتى وأوجزى ! ان السم يسرى فى عروقى ، ولا يتسع وقتى للانتظار ·

دونا لوكريزيا : ويحك ! هذا محـــال ! أيقتلنى جينارو ؟ ليت شعرى ! أهذا أمل محتمل ؟

جينارو : بل هو أمر واقع يا سيدتى · قسما بالله لو كنت محلك لعقدت يدى وجثوت على ركبتى وصليت فى صمت ــ هاك هذا المقعد ، فهو يصلح لهذا الغرض ·

دونا لوكريزيا : كلا ، انى أقول لك هذا محال · كلا ، فما خطرت على البال هذه الفكرة بين أبلغ الفكر وحشية وهولا · ويحك ! أترفع يدك بالمدية ؟ تمهل يا جينارو ، فلدى ما أقول لك ·

جينارو : عجلى !

دونا لو كريزيا : ألق المدية أيها الشقى · سألتك أن تلقيها ! آه لو علمت · أى جينارو ، هل تعلم من أنت ؟ هل تعلم من أكون ؟ انك لا تدرى مدى صلتى بك · ترى ينبغى أن أبوح له بمكنون سرى ؟ ان الذى يجرى فى عروقى وعروقك هو دم واحد يا جينارو ، فأبوك هـــو جان بورجيا دوق جانديا !

جينارو : أخوك ! أنت عمتى اذن ! تبا لك يا سيدتى !

دونا لوكريزيا : (على حده) يظننى عمته !

جينارو : أأنا ابن أخيك ؟ أواه ! لهفى على أمى المنكودة الطالع دوقة جانديا . من تحالف على شقائها آل بورجينا جميعا ! اسمعى أيتها السيدة ، لقد حدثتنى عنك أمى فى رسائلها . انك من زمرة الأقارب الجحدة الذين تقينى من بغيهم أمى فى هلع وذعر ، هؤلاء الذين صرعوا أبى وأغرقوا حظ أمى فى بحر من الدموع والدم . لزام على الآن ـ فضلا عما ذكرت ـ أن أثأر لأبى وأنقذ من براثنك أمى ! يالله ! أنت اذن عمتى وأنا من آل بورجيا . الا ان هـذا يجننى ـ أصغى الى يادونا لوكريزيا بورجيا : لقد عشت دهرا سادرة فى غيك حتى غدوت بشعة كريهة الى نفسك ولابد أنك تعبة من حياتك ، أليس كذلك ؟ حسنا . لنضع لهذه الحياة حدا . لقد حدث دائما فى أسر كأسرتنا ، ممن آلت اليها الجريمة بالوراثة كما يئول اسم الأب الى الابن ، أن انتهى قدرها المحتوم بجريمة قتل ، وهى فى المعتاد جريمة عائلية ، جريمة أخيرة تغسل كل ما سبقها من جرائم ، وما لام أحد قط ثمة نبيل على بتره فرعا فاسدا (من شجرة أسرته لقد قتل مودارا الاسبانى عمه روديريج دىلارا) من أجل آثام تقل شأنا عن آثامك ، وأثنى الناس طرا على هـذا الاسبانى لقتلة عمه . أفهمت يا عمتى ؟ والآن لقد تحدثنا فى هذا الشأن بما فيه الكفاية . اسألى الله شفاعة فى روحك ان كنت تؤمنين بالله وبروحك .

دونا لوكريزيا : أى جينارو ؟ ناشدتك الرحمة بنفسك . انك لا تزال طاهر الذيل بريئا ، فلا تقارف هذا الجرم .

جينارو : جرم . أواه ! لقد حار منى الفكر واضطرب . ترى فيما أزمعت عليه جريمة ؟ ولكن لا . فقسما بالله لا أكون سليل بورجيا بحق الا اذا مارست الجريمة . انى آمرك أن تركعى يا عمتى . اركعى .

دونا لوكريزيا : أتعنى حقا ما تقول يا عزيزى ؟ أهكذا تجزينى عن حبى لك ؟

جينارو : حب ؟

دونا لوكريزيا : هذا مستحيل ، لابد أن أنقذك من نفسك . سأدعو الناس . سأصيح بأعلى صوتى :

جينارو : لن تفتحى هذا الباب ، ولن تخطى خطوة · أما عن صـــياحك فلن يؤدى الى نجاتك · أما أمرت بنفسك من هنيهة ألا يدخل علينا أحد مهما بلغ الاسماع فى الخارج مما يجرى هنا ؟

دونا لوكريزيا : ولكن هذه مجبنة منك يا جينارو · أتقتل امرأة لا حول لها ولا قوة ؟ أنت أكرم من هــذا نفسا · اصــغ الى ، ثم اقتلنى بعدها ان شئت ، فما عدت على الحياة حريصة · بيد أنى أرى لزاما على الافضاء بما يعتمل فى فؤادى ، فانه ليفيض لوعة وأسى من نهجك فى معاملتى الى الآن · أنت شاب يا بنى والشباب يجور دوما فى حكمه · آه ، لئن كان لا مناص من موتى فلا أود أن أموت بيدك أنت · أسمعت ؟ محال أن أموت بيدك · انك لاتعلم مدى فظاعة هذا الأمر ، هذا الى أن ساعة منيتى ياجينار لم تحن بعد · حقا ، اننى قارفت عديدا من الشرور والآثام واننى مجرمة عتيدة ، ولهــذا السبب ينبغى أن تتاح لى فســحة من الوقت كيمــا أقر بذنوبى وأتوب ، هذا قطعا مالابد منه · أوعيت ما أقول يا جينارو ؟

جينارو : أنت عمتى، وأنت شقيقة أبى ، فماذا صنعت بأمى أيتها السيدة لوكريس بورجيا ؟

دونا لوكريزيا : أمهلنى قليلا · أشــهد الله اننى لا أقوى على الجهر لك بكل ما أكن ، فلو جهرت لك به ربما ضــاعفت بذلك زرايتك لى وبشاعتى فى نظرك · اصغ الى لحظة أخرى ! ان غاية منــاى أن تتلقانى تائبة جاثية تحت قدميك · وعند ذاك تبقى على حياتى ، أليس كذلك ؟ حسنا · ماذا ترى ؟ أيروقك أن أضــع على رأسى ازارا وأحتبس فى الدير ؟ اذا قيل لك أن هذه المرأة الشقية قد غدت حليقة الرأس ، تفترش الغبراء ، وتحفر بأظفارك لحدها ؛ وتصلى لله ليل نهار ، لا من أجل نفسها برغم حاجتها الى الصلاة ، بل من أجلك وأنت فى غنى عنها ، وان هــــذه المرأة انما فعلت ما فعلت ، مؤملة فى أن تلقى يوما على رأسها نظرة حانية وتسكب دمعة على الجراح النازفة من قلبها وروحها ، وأن تكف عن قولتك لها ــ كما فعلت منذ هنيهة ــ فى صوت أشد قســوة من صــوت القضاء الأخير : أنت لوكريس بورجيا · اذا قيل لك ذلك يا جينارو فهل يطاوعك قلبك فى الأعراض عنها ؟ أواه ·· ناشدتك الرحمة ! لا تقتلنى يا عزيزى ! دع كلينا ينعم بالحياة ، فتعيش لتعفو عنى وأعيش للتوبة والاستغفار · أفىء على بظل من عطفك · خبرنى ، ما غايتك من معاملة امرأة بائسة شقية بلا رحمة ولا شفقة ، وهى

التى لا تلتمس منك الا شــيئا من الرحمة ، والا الابقاء على حياتها
ألا فاعلم يا عزيزى جينارو ـ وما أبتغى مما أقول سوى خيرك ـ
أن فيما تقدم عليه مجبنة حقا ، انه وزر جسيم ، بل هو جريمة
نكراء · أيقدم رجل قوى على قتل امرأة مستضعفة ؟ هذا مالا ترضاه
لنفسك ، هذا مالا ترضاه لنفسك ·

جينارو : (واجفا) سيدتى !

دونا لوكريزيا : أنا واثقة من أنك قد عفوت عنى ، وانني سـأعيش ·
هذا ما قرأته فى عينيك · دعنى أبكى عند قدميك ·

(صوت من الخارج مناديا) جينارو ·

جينارو : من الهاتف ؟

الصوت : أخى جينارو ·

جينارو : هذا مافيو ·

الصوت : جينارو · اننى أموت · خذ بثأرى ·

جينارو : (رافعا المـدية) قضى الأمر ، ولن أسـتمع اليك · أفهمت
يا سيدتى ؟ لا مناص من قتلك ·

دونا لوكريزيا : (ممسكة بذراعه تحاول مقاومته) رحماك ! كلمة أخرى

جينارو : كلا ·

دونا لوكريزيا : حنانيك ! اسمعنى ·

جينارو : كلا ·

دونا لوكريزيا : ناشدتك السماء !

جينارو : كلا · (يطعنها)

دونا لوكريزيا : أواه · أتقتلنى ؟ جينارو ، أنا أمك

(ستار الختام)